فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

سنة ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «مناراً» كمنار الطريق

٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٥هـ ١١ برج السرطان سنة ١٣٠٦هـ ش ٢٩ يونيو سنة ١٩٢٧



اكتفينا في هذا الجزء من التفسير بتتمة ما أقتبسناه من تفسير الجزء الاول في بحث اعجاز القران · وسننشر في الجزء التالي ملخص سورة الاعراف ان شاء الله تعالى

نموذج من تفسير الجزء الاول

٣

وهو مما زدته في تفسير قوله تعالى (فأتوا بسورة من مثله) مما كنت كتبته في عهد الاستاذ الامام ونشر في المنار

(المقصد) قد اختلف علماء الكلام في وجه دلالة المعجزة على نبوة من ظهرت على يديه ورسالته — اي على كون مايدعو اليه من العقائد والفضائل والاعمال الصالحة وحياً من رب العالمين ـ فقال بعضهم انها دلالة عقلية ، ورجح الاكثرون انها وضعية ، بمعنى أن تأييد الله تعالى إياه بعد التحدي بها في معنى قوله تعالى « صدق عبدي فيما يبلغ عني » ومن المعلوم الذي لا مراء فيه ان الذين آمنوا بالرسل في عصرهم وبعد عصرهم من العقلاء والاذكياء وجدوا في انفسهم اعتقاداً اضطراريا بأن ظهور ما لا يقدر عليه غير الله تعالى على أيديهم عقب ادعائهم ما ادعوه وطلبهم من الله تعالى ان يصدقهم ويعطيهم آية تدل على تصديقه اياهم فيه ـ دليل على أنه هو الذي فعله لاجل تصديقهم ، فسم الدلالة عقلية أو سمها وضعية أو اجمع بين التسميتين إن شئت

وقال العلماء ان الله تعالى كان يعطي كل رسول من الآيات ما يناسب حال قومه وأهل عصره فلما كان قوم فرعون أهل علوم رياضية وطبيعية ، وأولي سحر وصناعة ، آتى رسوله موسى آيات كان العلماء والسحرة أعلم الناس بأنها من عندالله لا من كسب موسى ولا من صناعته ، ولما كان الرومانيون أولي السلطان في قوم عيسى والسيادة في بلادهم أهل علم واسع بالطب آتاه من الآيات إبراء الاكمه والابرص وإحياء الميت ، ولما كانت العرب قد ارتقت في لغتها فصاحة وبلاغة إلى درجة لم تتفق لغيرها ، لان أذكياءها قد وجهوا جميع قواهم العقلية والخيالية إلى إتقانها ، جعل الله تعالى آية محمد الكبرى اليهم كتابا معجزاً لهم ولسائر الخلق في نظمه وأسلوبه وفصاحته وبلاغته ، فقامت عليهم الحجة به بأقوى مما قامت آيات موسى

وعيسى على قومها . وفي هـذا القول من التقصير في حجة القرآن ماعلمت

والحق الذي يقال في هـذا المقام : ان ما أيد الله تعالى به رسله من الآيات الكونية كان مناسباً لحال زمان كل منهم وأهله ، وقامت الحجة على من شاهد تلك الآيات في عهده ، ثم على من صدق المخبرين من بعده ، وقد علم الله تعالى ان سلسلة النقل ستنقطع ، وان ثقة بعض المتأخرين به ولا سيما بعد انقطاع سلسله ستضعف ، وان دلالتها على الرسالة ستنكر ، — فجعل الآية الكبرى على اثبات رسالة خاتم النبيين علمية دائمة لا تنقطع ، وهي هذا الكتاب المعجز للخلق بما فيه من أنواع الاعجاز السبعة التي ذكرناها ، وبينا ان كل واحد منها آية بينة لمن ألقى السمع وهو شهيد ، وكان مستقلا مطلقا من أسر النظريات المادية وقيود التقليد .

اذ لا يتصور عاقل يؤمن برب العالمين أن يصدر هذا الكتاب المشتمل على هذا القدر السنيم[1] من المعاني ، في هذا الاسلوب البديع والنظم المليح من المباني ، من رجل أمي ولا متعلم أيضاً ، الا ان يكون وحياً اختصه به الرب عز وجل ، ناهيك به وقد جزم بعجز الانس والجن عن ان يأتوا بمثله ، ثم تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله ، فهذا التحدي حجة مستقلة على نبوة محمد ﷺ بقطع النظر عن المتحدى به ما هو ، وكل نوع من تلك الانواع السبعة الثابتة للقرآن حجة مستقلة في نفسها ، وحجة أنهض وأقوى باعتبار أمية من جاء بها ، فان أمكن محل المراء والجدل في بعض الوجوه التي ذكرناها لاعجازه فهل يمكن ذلك في جملتها أو في كل منها ؟ كلا

سبق لنا أن ضربنا مثلا لنبوته ﷺ رجلا ادعى في بلاد كثرت فيها الامراض أنه طبيب وان دليله على ذلك انه ألف كتابا في علم الطب يداوي المرضى بما دوّنه فيه فيبرؤن ، فاطلع عليه الاطباء البارعون فشهدوا بأنه خير الكتب في هذا العلم وما يتعلق به من عمل ، ثم عرض عليه من لا يحصى عدداً من المرضى وقبلوا ما وصفه لهم من الادوية فبرؤا من عللهم وصاروا أحسن الناس صحة ، فهل يمكن المراء في صحة هذه الدعوى مع هذين البرهانين العلمي والعملي ؟ كلا . وإن العلم بطب الارواح ، أعلى وأعز منالا من العلم بطب الاجساد ، وان معالجة أمراض

(١) السنيم هو الجامع بين الطول والحسن من سنع سنوعا وسناعة

الاخلاق وأدواء الاجتماع ، أعسر من مداواة أعضاء الافراد ، ومن المعلوم بالضرورة ان القرآن مشتمل على العقائد الصحيحة والآداب العالية وأصول التشريع الاجتماعي والمدني، وان النبي (ص) عالج به أمة عريقة في الشقاق وحمية الجاهلية ، غريقة في الجهل والامية ورذائل الوثنية ، فشفيت واتحدت وتعلمت الكتاب والحكمة ، وسادت الامم ، من بدو وحضر ، مع انه كان أمياً لم يتعلم شيئا من العلوم ، ولم يتمرس بسياسة الشعوب ،

كفاك بالعلم في الأمي معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتم

لو استدل ذلك الطبيب الجسداني على صحة دعواه بعمل غريب غير مألوف للناس ولكن لاعلاقة له بالطب لأمكن المراء في صحة دعواه — كذلك شأن هذا النبي في ادعائه انه مرسل من الله لهداية البشر فان كتابه العلمي المؤيد بنجاح العمل به ، ادل على كونه وحيا أوحاه الله اليه من جعل عصاه حية أو احيائه ميتا لان هذين على غرابتهما ليسا من موضوع الارشاد والتعليم ، كما أنهما ليسا من موضوع الطب ، فهما ان دلا على صدق الرسول فلانهما ليسا في أنفسهما والاتيان بعمل خارق المألوف في العادة من سنن الكون هو دون الاتيان بالعلوم العالية الالهية والتشريعية من غير تعليم ، فكيف بالاتيان بانباء الغيب الماضي والمستقبل ؟ فكيف بصلاح حال من عملوا بهذه العلوم دينا ودنيا ؟ فالقرآن اذاً برهان على ان مافيه الطب الروحاني الاجتماعي وحي من الرب المدبر الحكيم لايماري فيه إلا معاند مكابر ، أو مقلد جاهل

أما المكابرون الذين يجحدون الحق وهم يعلمون فأمثال رؤساء المشركين ورؤساء اليهود في زمن البعثة المحمدية الذين ثقل على طباعهم ترك رياستهم ، وصيرورتهم أتباعا مساوين لفقراء المسلمين ومواليهم ، ولا يخلو هذا العصر من أناس منهم ، وأما المقلدون فعوام أهل الاديان والمذاهب في كل عصر الذين لا ينظرون في دليل ولو كان حسياً . وكذلك المفتونون ببعض شبهات الماديين من الفلاسفة وعلماء الطبيعة الذين قلدوهم في الكفر بالله تعالى كما قال الشاعر في أمثالهم :

عمي القلوب عموا عن كل فائدة لانهم كفروا بالله تقليدا

فهؤلاء المنكرون لوجود الخالق لا كلام لنا معهم في مسألة النبوة والوحي

الا بعد أن نتكلم معهم أولا في اثبات وجود الخالق وصفات ربوبيته ، ولكن أكثر منكري النبوة يؤمنون بوجود الله تعالى وانما يستبعدون معنى الوحي ، وليس ببعيد في نظر العقل

الوحي في اللغة إعلام في خفاء . ووحي الله تعالى إلى أنبيائه علم يختصهم به من غير كسب منهم ولا تعلم من غيرهم ، بل هو شيء يجدونه في أنفسهم من غير تفكر ولا استنباط مقترنا بعلم وجداني ضروري بأن الذي ألقاه في قلوبهم هو الرب القادر على كل شيء ، وقد يتمثل لهم ملك فيلقنهم ذلك العلم ، وقد يكون بغير وساطة ملك . قال تعالى (٢٦ : ١٩١ وانه لتنزيل رب العالمين ١٩٢ نزل به الروح الأمين ١٩٣ على قلبك لتكون من المنذرين) فأي استحالة أو بُعد في هذا عند من يؤمن برب العالمين ، وعلمه وحكمه وقدرته في المخلوقين؟

وعرفه شيخنا في رسالة التوحيد بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين من قبل الله تعالى بواسطة أو بغير واسطة والاول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت . (ويفرق بينه وبين الالهام بأن الالهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق إلى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى ، وهو اشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور » ثم بيّن إمكان هذا ووقوعه وأسباب شك بعض الناس فيه وتفنيد شبهاتهم عليه بما يراجع في الرسالة نفسها

وأما تمثل الملك فكانوا يكتفون في إثباته بقولهم إنه ممكن في نفسه وقد أخبر به الصادق فوجب تصديقه . ونقول اليوم إن العلوم الكونية لم تبق شيئا من أخبار عالم الغيب غريبا ، الا وقربته الى العقل بل الى الحس تقريبا ، بل ظهر من الاختراعات المادية المشاهدة في هذا العصر ، ما كان يعد عند الجماهير محالا في نظر العقل ، لا غريبا فقط . فاذا كان الانسان الكيميائي يحلل الاجسام الكثيفة حتى تصير غازات لا ترى من شدة لطفها ، ويكثف العناصر اللطيفة فتكون كالجامدة بطبعها فكيف يستغرب تكثيف الملك لنفسه وهو من الارواح ذات المرة والقوة العظيمة بأخذه من مواد العالم المنبثة فيه هيكلا على صورة الانسان مثلا ؟ دع مخترعات الكهرباء العجيبة التي لا يوجد شيء مما أخبر به الرسل من عالم الغيب الا وفيها نظير

له يقربه من الحس لا من العقل وحده ، وهل الكهرباء الاقوة مسخرة للملائكة ؟ ودع ماينبته الالوف من علماء الامم كلها من تمثل بعض أرواح البشر لبعض الناس في صور كصور الاجساد ، وهو يوافق المأثور عندنا عن الامام مالك من أئمة الفقهاء في صحة الروح ووقائعه عند الصوفية كثيرة ، ومن ينكر ما يحكى من وقوع هذا لاينكر إمكانه في نفسه ، ولا الرجاء في ثبوته في يوم ما بحيث يشاهده جميع الناس.

خلاصة ماتقدم أن دلالة القرآن على نبوة محمد (ص) لها وجهان (أحدهما) ما قيل في دلالة الآيات الكونية لبعض الانبياء السابقين كناقة صالح وعصا موسى وإحياء عيسى الميت وهو ان كلا منها أمر جاء على غير المعتاد من مقدور البشر واستدل به صاحبه على نبوته ورسالته فكان تصديقا من الله تعالى له ، وتكذيبا وخذلانا منه تعالى لمن كذبه، وهذا الوجه من الدلالة خارج عن موضوع النبوة والرسالة ولذلك اختلف فيه علماء النظر كما تقدم آنفا

(الوجه الثاني) [illegible] النبوة والرسالة وهو أنها هداية علياللبشر لا [illegible] ولا هداية العقل ، فإن هذه هدايات شخصية فردية [illegible] هداية لنوع الانسان في جملته ، وقد اكتفينا في هذا الاستطراد بتمثيلها بطب الأبدان ليفهمها كل قارئ وسامع ، وانما يفهمها الفهم التام من طريقه العلمي من يقف على ما اشتمل عليه القرآن من آيات الهداية وكونه أعلى وأكمل من كل مانقل عن الانبياء السابقين على ما في نقله من التواتر القطعي وما في نقلها من الضعف - ومن طريقه العملي من عرف تاريخ الاسلام وما كان من تأثير القرآن في هداية العرب ثم هداية غيرهم من الأمم ، وعرف تأثير هداية الانبياء السابقين في أممهم ، - على مابين النقلين من التفاوت أيضاً -

ولا يمتري أحد من العقلاء في كون العلم الذي موضوعه هداية الأمم والشعوب ونقلها من حال دنيوية الى حال أعلى وأكمل منها هو من العلوم العالية التي يقل في الناس من يحذقها ويكون إماماً مبرزاً فيها ، وان عمل من يتدارسونه في الكتب به أعسر مسلكا واوعر طريقا وان فلاح العاملين به المتمرسين بوسائله فما يتفق إلا لأفراد أتيح لهم من الاسباب ونفوذ الحكومات مالم يتح لغيرهم ، فما بالك بالجم

بين هذا وبين العلم والعمل في سبيل الهداية الروحية والاستعداد لسعادة الآخرة والنجاح التام معا على ما فيهما مع عدم سبق الاستعداد لها بعلم ولا عمل ؟

وجملة القول ان موضوع الرسالة تعليم وإرشاد إلهي يملك الوجدان ، وتذعن له النفس بالايمان ، فيكون هداية تزع صاحبها عن الباطل والشر ، وتوجهه الى الحق والخير ، وإن القرآن قد بلغ مرتبة الكمال فيها ، فاهتدت به الأمم والشعوب ، فمن كان يؤمن بها على علم بحقيقتها ، لا تقليداً لآبائه وقومه فيها ، لا يسعه أن يؤمن بالتوراة أو الانجيل أو الفيدا أو غيرهن من الكتب المنسوبة الى المرسلين الاولين ولا يؤمن بالقرآن ، وهو أكملها في موضوعها وأصحها الى من جاء به

الله اكبر ان دين محمد	وكتابه اقوى واقوم قيلا
لا تذكروا الكتب السوالف عنده	طلع الصباح فأطفئوا القنديلا

ومن كان يؤمن بالله تعالى وأنه هو الرب الخالق للعالم بأكمل نظام ، المدبر لأمور العباد بالحكمة والاحكام ، وأنه هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، وتأمل في تاريخ النبي (ص) المنقول نقلاً مستفيضاً ومتواتراً فلا يسعه أن يزعم أن بعثة محمد الأمي العربي وإتيانه بهذا القرآن ، المشتمل على ما أشرنا إليه من ضروب الاعجاز ، قد كان من أمور التعاليم البشرية الكسبية ، وما حدث به من الهداية التي قلبت تاريخ البشر كان من الأمور العادية ، بل لا يسعه اذا أنصف إلا أن يؤمن بأن هذه الحادثة الانقلابية في دين الأمم ودنياها قد كانت بعناية خاصة من الرب الحكيم العليم ، المدبر الرحيم ، وأنه هو الذي أفاض هذا القرآن الحكيم على قلب ذلك الرجل الأمي بعد أربعين سنة قضاها في قومه لم يؤثر عنه شيء من مثل علومه ولا مما يقرب من أسلوبه وبلاغته

هذا وإن لتحقيق هذه الدلالة العلمية على النبوة والرسالة مقدمات علمية وفلسفية مستنبطة من حاجة البشر في كالهم النوعي في الدنيا وفي استعدادهم للحياة الأبدية الى هداية الرسالة ، وقد عقد شيخنا الاستاذ الامام لهذا البحث فصلا طويلا في رسالة «التوحيد» سلك فيه مسلكين (أحدهما) مبني على عقيدة خلود النفس البشرية وكونها لا تزول من الوجود بالموت المعهود ، وهي عقيدة اتفقت عليها كافة

البشر من المليين موحديهم ووثنييهم والفلاسفة إلا قليلا من الماديين الجدليين الذين لا يعتدون إلا بمدركات الحس (وثانيها) مأخوذ من طبيعة الانسان في حياته الاجتماعية

بين الاستاذ في الأول ان الانسان محتاج بمقتضى تلك العقيدة والشعور النوعي العام بالبقاء والانتقال من طور الى آخر في الحياة الى هداية يستعد بها للحياة الآخرة الباقية وهي من عالم الغيب الذي لا يدرك من أمره شيئاً فيستقل عقله في العلم بما يجب عليه من الاستعداد له ، فلا بد أن تكون هذه الهداية من عند الله تعالى الذي خلقه للبقاء الذي يعقل في الحلق ، لا للزوال والعدم المحض الذي لا يعقل ولا يتصور ولا يتخيل ، وانما غاية الموت انحلال هذه الصور الجسدية ، وتفرق هذه المركبات المادية . فالله هو العليم بما يصلح به حاله في تلك الحياة ، وتأبى حكمته ورحمته وجوده واتقانه لكل شيء خلقه وتنزهه عن الباطل والعبث أن يحرمه هذه الهداية

وبين في الثاني أن هذه الحياة الاجتماعية الانسانية لا يستقيم فيها التعاون بين الافراد ولا بين الجماعات إلا بالأخذ بشعائر اعتقادية وأدبية وعملية لا تختلف فيها الأهواء والشهوات لأن الناس يرون فيها تعالي وجلاله لصدورها عن الرب الحكيم العليم ، بوحي أوحاه الى من اختصه بهذا الفضل العظيم ، ولولا ان طال هذا الاستطراد في تفسير الآية لأوردت هذا الفصل برمته هنا فهو في المسألة الحجة البالغة والحكمة وفصل الخطاب

إلا اني أقول ان أعلم الحكماء الغربيين في هذا العصر قد بينوا في مباحثهم في طبائع البشر ان الانسان اذا ترك الى مداركه الحسية ونظرياته العقلية ونسل من وجدان الدين والالهام الالهي بالحياة الأخرى يكون أشقى من جميع أنواع الحيوان الأعجم ويكون جل شقائه من نظرياته العقلية ، فهو اذا فكر في هذه الحياة القصيرة التي تساورها الآلام الشخصية من جسدية ونفسية والآلام المنزلية (العائلية) والقومية والوطنية والدولية - يراها عبئاً ثقيلا ، ويرى من السخف أو الجنون أن يحمل شيئاً منها مختاراً لأجل زوجة أو ولد أو وطن أو أمة - ويرى ان الطريقة المثلى في الحياة أن لا يتعرض لألم من هذه الآلام فلا يتزوج ولا يعمل أدنى عمل ولا يتكلف أدنى تعب لاجل غيره ، وأن يطلب لذاته

الجسدية من أقرب الطرق اليها ، وينتظر الموت الاستراحة من هذه الحياة ، فان أبطأ عليه ونزلت به آلام يشق عليه احتمالها من مرض أو فقر مدقع أو ذل مخز فليبخع نفسه ويتعجل الموت انتحاراً

كل فضائل الانسان من الصبر على المكاره والجهاد في سبيل الزوجة والولد والأمة والوطن وإسداء المعروف وسائر أعمال البر لايبعث النفس عليها إلا الايمان بالله والجزاء على الاعمال في حياة خير من الحياة الدنيا ، كما قرره البرنس بسمارك عظيم أوربة في عصره في بيان الباعث للجندي على بذل نفسه في الحرب وانه وجدان الدين وفي قوله عن نفسه انه لولا الايمان لما خدم الامة الالمانية في ظل باعلها وهو يكره الملوك لانه جمهوري بالطبع . — ولئن انتصرت الافكار المادية على الهداية الدينية انتصاراً تاماً كاملا ليتحولن جميع ما اهتدى اليه البشر من أسرار الكون والفنون والصناعات التي [illegible] والتدبير [illegible] والمصير، وهو ما جزم هربرت سبنسر [illegible] الاجتماعيين بأن سيكون عاقبة انتشار الافكار المادية في [illegible] الكبيرة

وجملة القول ان [illegible] على بعض خواصه وهم الرسل من أفق أعلى من عقله وحواسه فكانت أستاذاً مرشداً له فيهما لكيلا يستعملهما فيما يضره في سيرته الشخصية والاجتماعية ، وهاديا له إلى السعادة الأخروية ، وان القرآن أكمل الكتب الالهية التي أوحاها الى رسله لبيان هدايته ، أكملها هداية وإرشاداً ، وأصحها تاريخا وإسنادا ، ولذلك كان خاتمة لها ، وكان آية دائمة ومعجزة ثابتة بأسلوب عبارته وبما اشتمل عليه ، مما مرت الاشارة إليه . ولكن ما طرأ على دول خلافته العربية من الضعف والانحلال صد الناس عنه ، وسيرجعون الى إحياء لغته ، وتعميم دعوته ، فينقذ الله به العالم من مصائبه المادية التي أوشكت أن تودي به (ولتعلمن نبأه بعد حين)

خاتمة البحث فيمن عارضوا القرآن

نختم هذا البحث بكلمة فيمن حاولوا معارضة القرآن ، وقد كان من دأب علماء المسلمين احصاء كل ما يبلغهم في الدين والعلم والادب وتدوينه وعزوه الى أهله ، حتى إن دعاة النصرانية يقرؤن كتب علمائنا وينقلون منها كل طعن

في الاسلام ويؤيدونه ، ويكتمون رد علماء المسلمين عليه أو يذكرون منه ما يرونه ضعيفا ويوردونه مورد الهزؤ والسخرية لتنفير ضعفاء العلم أو العقل من المسلمين عنه . وقد أجمع رواة الآثار والتاريخ على أن فحول البلغاء من مشركي العرب لم تسم نفس أحد منهم الى معارضة القرآن مع شدة حرصهم على صد الناس عن الاسلام ، وعن الرسول عليه الصلاة والسلام — كما تقدم — اللهم الا أن بعضهم نقل عن مسيلمة الكذاب أنه عارض سورة الكوثر وهي أقصر سورة منه لإثبات دعوى غوغائه أنه يوحى اليه كمحمد (ص) فقال كما في التفسير الكبير للفخر الرازي وغيره :

« إنا أعطيناك الجماهر ، فصل لربك وهاجر ، ان مبغضك رجل كافر »

وقد تعلق بهذا بعض دعاة النصرانية في رسالة له في الطعن على اعجاز القرآن ولكنه أوردها بألفاظ أخرى وزعم أنها فصيحة متناسبة المعنى ، بعد أن طعن في سورة الكوثر وزعم أنه سأل علماء المسلمين عن بلاغتها واعجازها فلم يستطع أحد أن يجيبه ، (وهو هو الذي نقلناه مما يختلف بين سورتنا بالنص بحو وهل عبارته أو روايته)

« إنا أعطيناك الجواهر ، فصل لربك وجاهر ، ولا تعتمد قول ساحر »

ولا شك أن هذا التغيير جاء من جاهل باللغة العربية الفصيحة ، ولا سيما لغة ذلك العصر ، وهو مع ذلك سخيف العقل ، فمن سخف عقله إتيانه بكلمة الجواهر هنا وترتيب الامر بالصلاة على اعطائها ، وفرض هذا وحيا لمسيلمة المدعي للنبوة ، مع أنه لا يوجد نقل بأن الله أعطاه جواهر معروفة تذكر بلام التعريف ، ولا غير معينة فتذكر بلام الجنس ، ثم إنه لا مناسبة للامر بالمجاهرة بالصلاة هنا وهي المشاركة في جهر الشيء أو الجهر بالقول ، وأما الفقرة الاخيرة فليست مما يقوله عربي قح لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى إذ لم يكن عند العرب أقوال للسحرة تعتمد أو لا تعتمد إن صح ان يقال هذا ، وانما السحرة أناس مفسدون محتالون ، فعالون لا قوالون

ولو فرضنا أن هذه الالفاظ التي غيرها من السورة صحيحة ومناسبة المقام ومقتضى الحال لما صح أن يكون بها معارضا لها بل مقلدا أو ناقلا ، وضربا من الاقتباس مع التصرف لكن بغير قافية أبيات من الشعر بمعناها أو بمعنى آخر كقول الشاعر :

ما لمن تمت محاسنه * أن يعادي طرف من رمقا

لك أن تبدي لنا حسنًا * ولنا أن نعمل الحدقا
قدحت عيناك زند هوى * في سواد القلب فاحترقا

غيرت قوافيها لفظا لا معنى بالبداهة فقلت

ما لمن تمت محاسنه * أن يعادي طرف من مقلا
لك أن تبدي لنا حسنا * ولنا أن نعمل المقلا
قدحت عيناك زند هوى * في سواد القلب فاشتعلا

«مقل» نظر بعقله ، ثم غيرتها أيضا بكلمات: نظرا ، أو بصرا — النظرا — فاستعرا — فهل أكون بهذا معارضا للاصل ، وفي طبقة صاحبه من غزل الشعر ؟

إعجاز سورة الكوثر

وأما السورة فهي في أنق أعلى مما قال مسيلمة الكذاب ، ومما عزاه اليه المبشر الجاهل الخادع ، حتى لو فرض أنه قال ما قال من تلقاء نفسه

«الكوثر» في السورة لا يوجد في اللغة ما يحكيه أو يحل محله فيها إذ معناه الكثير البالغ منتهى حدود الكثرة في الخير حسيًا كالمال والرجال والذرية والاتباع ، أو معنويا كالعلم والهدى والصلاح والاصلاح فيشمل الكثير من خيري الدنيا والآخرة . وهو يطلق على السخي الجواد أيضا

وأما موقعه في أول السورة وموقع كلمة «الأبتر» في آخرها اللذان اقتضتهما البلاغة وتأبى أن يحل غيرهما محلهما فهو أن رؤساء المشركين المستكبرين كانوا يحقرون أمر النبي ﷺ لفقره وضعف عصبيته ويتربصون به الموت أو غيره من الدوائر زاعمين أن ماله من قوة التأثير في الانفس بتلاوة القرآن يزول بزوال شخصه كما قال تعالى (٥٢: ٣٠) أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون (٣١) قل تربصوا فاني معكم من المتربصين) وكانوا يقولون عند ما رأوا أبناءه يموتون : بتر محمد ، أو صار أبتر ، أي انقطع ذكره بانقطاع ولده وعصبته ، وكانوا يعدون الفقر وانقطاع العقب مطعنا في دينه ودليلا على توديع الله له وعدم عنايته به تبعا لاستدلالهم بالغنى وكثرة الولد على رضاء الله تعالى وعنايته كما حكى عنهم سبحانه بقوله (٣٤ : ٣٥ وقالوا نحن أكثر أموالا وأولاداً وما نحن بمعذبين) وقد أبطل الله تعالى بهذه

السورة شبهتهم ، ودحض حجتهم ، وجعل ما شرؤا عليهم ، بما بين من عاقبة أمرهم وأمره ، قال ما تفسيره بالايجاز

(إنا) بما لنا من القدرة على كل شيء (أعطيناك) أيها الرسول من خيري الدنيا والآخرة (الكوثر) الذي لاتحد كثرته ولا تحصر ، من الدين الحق ، وهداية الخلق ، ومالا يحصى من الاتباع ، ومالا يحصر من الغنائم والنصر على الاعداء ، ومالا ينقطع من الذرية التي تنتسب اليك فتذكر بذكرهم ، ويصلي ويسلم عليك وعليهم ، ثم من الشفاعة العظمى يوم الفزع الاكبر ، والحوض الذي يرده المؤمنون في الحشر ، فلفظ الكوثر يشمل كل هذا وغيره ، وانما يكون كل نوع منه في وقته ، وكان الاخبار به في أول الاسلام من البشارة ونبأ الغيب ، وذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه كقوله (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) أو على معنى الانشاء ...

فأين هذا اللفظ في نفسه وفي موافقته لمقتضى الحال من كلمة « الجماهر » التي استبقا به مسيلمة الكذاب [illegible] أو كلمة الجواهر التي ذكرها المشر المر[illegible]

ووصل تعالى هذه البشارة العظمى بما [illegible] فقال (فصل لربك) ومتولي أمرك الذي منّ عليك بهذه النعم وحده مخلصاً له الدين (وانحر) ذبائح نسكك له وحده — فهو كقوله تعالى (٦: ١٦٢ قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) وهذا يدل على أنه سيكون له الغلب على المشركين الذي يتم بفتح مكة وبحجه ونسكه مع اتباعه — وقد كان — ونحر (ص) في حجة الوداع مائة ناقة ، فهذه بشارة خاصة بعد تلك البشارة العامة ، وكلاهما من أنباء الغيب

ثم قفى على ذلك ببشارة ثالثة هي تمام الرد على أولئك الطغاة المغرورين باموالهم وأولادهم أوردها مفصولة غير موصولة بالعطف على ما قبلها لأنها جواب عن سؤال تقديره : وماذا تكون عاقبة شانئيه ومبغضيه الذين رموه بلقب الابتر وتربصوا به الدوائر لما يرجون من انقطاع ذكره واضمحلال دعوته ؟ فأجاب (ان شانئك) أي مبغضك وعائبك بالفقر وفقد العقب (هو الابتر) من دونك — وهذا اخبار آخر بالغيب قد صح وتحقق بعد كر السنين ، ولفظ شانئ ، مفرد مضاف فمعناه عام فهو يشمل

العاص بن وائل وعقبة بن أبي معيط وأمثالهم ممن نقل عنهم ذلك القول فيه (ص لفظاً أو موافقة لاخوانهم المجرمين فقد بتروا كلهم وهلكوا ، ثم نسوا كأنهم ماوجدوا ، وزال ما كانوا يرجون من بقاء الذكر بالعظمة والرياسة وكثرة الولد والعصبية ، فلم يعد أحد منهم يذكر بخير ، ولا ينسب له عقب

فأنت ترى أن هذه السورة على إيجازها في منتهى الفصاحة والبلاغة قد جمعت من المعاني الكثيرة الصحيحة ومن أنباء الغيب التي فسرها الزمان ما تعد به معجزة بينة الاعجاز ، وفيها من المعاني واللطائف غير ما ذكرنا فيراجع تفسيرها في مفاتح الغيب وغيره من المطولات

أنبياء العجم الكاذبون

هذا وانه قد ظهر في القرنين الماضي والحاضر دجالون من ايران فادعى بعضهم انه المهدي وبعضهم أنه نبي يوحى اليه وشارع جديد فأنه معبود ، وبعضهم أنه المسيح المنتظر ، وقد ألف كل منهم رسائل وكتباً ادعى أنها وحي من الله وأنها معجزة للانام مع اعترافهم بنبوة محمد (ص) وأن القرآن كتاب الله عز وجل . وقد ضل بكل منهم أناس من الاعاجم الذين لايفهمون العربية فهماً صحيحاً ، ثم تألفت لهم أحزاب وعصبيات بمساعدة الاجانب المستعمرين الطامعين في القضاء على الاسلام والمسلمين وصار لهم ثروة يستميلون بها الناس . وقد رددنا عليهم في المنار ورد عليهم غيرنا من العلماء بما ظهر به جهلهم وكذبهم ، وسخافتهم فيما افتروا به من وحي الشياطين لهم

وقد كان لاعرضهم دعوى كتاب سماه الكتاب الاقدس حاول فيه محاكاة القرآن في فواصل آياته وفي أنباء الغيب ـ ولكن اتباعه الاذكياء لم يجدوا بداً من اخفاء هذا الكتاب ، وجمع ما كان تفرق من نسخه المطبوعة في الاقطار ، وما يدري إلا الله ماذا يفعلون فيه بعد أن يثقوا بأنهم استردوا سائر نسخه من تصحيح وتنقيح ، وابرازه في يوم من الايام في ثوب جديد ، وهذا العمل يؤكد انفراد القرآن بالاعجاز ، وكونه هو حجة الله الباقية الى آخر الزمان .

قاعدة جليله

(فيما يتعلق بأحكام السفر والاقامة)

(لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى)

(تابع لما قبله)

فصل

والذين لم يكرهوا أن يصلي المسافر أربعا ظنوا أن النبي ﷺ فعل ذلك أو فعله بعض أصحابه على عهده فاقره عليه ، وظنوا أن صلاة المسافر ركعتين وأربعا بمنزلة الصوم والفطر في رمضان ، وقد استفاضت الاحاديث الصحيحة أنهم كانوا يسافرون مع النبي ﷺ فمنهم الصائم ومنهم المفطر وهذا مما اتفق أهل العلم على صحته . وأما ما ذكروه من التربيع فحسبه بعض اهل العلم صحيحا وبذلك استدل الشافعي وبعض اصحاب أحمد قال الشافعي لما ذكر قول النبي ﷺ «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته» فدل على ان القصر في السفر بلا خوف صدقة من الله والصدقة رخصة لاحتم من الله ان يقصر . ودل على ان يقصر في السفر بلا خوف ان شاء المسافر أن عائشة قالت كل ذلك فعل رسول الله ﷺ اتم في السفر وقصر (قلت) وهذا الحديث رواه الدارقطني وغيره من حديث ابي عاصم حدثنا عمر بن سعيد عن عطاء بن ابي رباح عن عائشة ان النبي ﷺ كان يقصر في السفر ويتم ، ويفطر ويصوم . قال الدارقطني هذا اسناد صحيح ، قال البيهقي ولهذا شاهد من حديث دلهم بن صالح والمغيرة بن زياد وطلحة بن عمرو وكلهم ضعيف

وروي حديث دلهم من حديث عبيد الله بن موسى حدثنا دلهم بن صالح الكندي عن عطاء عن عائشة قالت كنا نصلي مع النبي ﷺ اذا خرجنا الى مكة اربعا حتى نرجع . وروى حديث المغيرة وهو أشهرها عن عطاء عن عائشة أن النبي ﷺ كان يقصر في السفر ويتم وروي حديث طلحة ابن عمر عن عطاء عن عائشة قالت: كل ذلك قد فعل رسول الله ﷺ قد أتم وقصر، وصام في السفر وافطر قال البيهقي وقد قال عمر بن ذر - كوفي ثقة - أخبرنا عطاء بن أبي رباح ان عائشة كانت تصلي في السفر المكتوبة أربعا وروى ذلك باسناده ثم قال وهو كالموافق لرواية دلهم بن صالح وان كان في رواية دلهم زيادة مسند (قلت) أما ما رواه الثقة عن عطاء عن عائشة من أنها كانت تصلي اربعا فهذا ثابت عن عائشة معروف عنها من رواية عروة وغيره عن عائشة واذا كان [illegible] على عائشة دل ذلك على ضعف المسند ولم يكن ذلك شاهدا للمسند

قال ابن حزم في هذا الحديث: انفرد به المغيرة بن زياد ولم يروه غيره وقد قال فيه احمد بن حنبل ضعيف ، كل حديث اسنده منكر (قلت) فقد روي من غير طريقه لكنه ضعيف أيضا وقد ذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل أن أباه سئل عن هذا الحديث فقال : هذا حديث منكر . وهو كما قال الامام أحمد ، وان كان طائفة من أصحابه قد احتجوا به موافقة لمن احتج به كالشافعي ولا ريب أن هذا حديث مكذوب على النبي ﷺ مع أن من الناس من يقول لفظه كان يقصر في السفر وتتم ، ويفطر وتصوم . يعني انها هي التي كانت تتم وتصوم وهذا أشبه بما روي عنها من غير هذا الوجه من أنه كذب عليها أيضا

قال البيهقي : وله شاهد قوي باسناد صحيح وروي من طريق الدارقطني من طريق محمد بن يوسف حدثنا العلاء بن زهير عن عبد الرحمن بن الاسود عن أبيه عن عائشة قالت خرجت مع رسول الله ﷺ في عمرة في رمضان فأفطر رسول الله ﷺ وصمت وقصر وأتممت ، فقلت يارسول الله بابي انت وأمي أفطرت وصمت ، وقصرت وأتممت قال « أحسنت ياعائشة » ورواه البيهقي من طريق آخر عن القاسم بن الحكم ثنا العلاء بن زهير عن عبد الرحمن بن الاسود عن عائشة لم يذكر اباه قال الدارقطني الاول متصل وهو اسناد حسن وعبد الرحمن قد ادرك عائشة فدخل عليها وهو مراهق ، ورواه البيهقي من وجه ثالث من حديث أبي بكر النيسابوري ثنا عباس الدوري ثنا أبو نعيم حدثنا العلاء بن زهير ثنا عبد الرحمن بن الاسود عن عائشة أنها اعتمرت مع رسول الله ﷺ من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت قالت يارسول الله بابي انت وأمي قصرت وأتممت وأفطرت وصمت فقال « أحسنت يا عائشة » وما عاب علي . قال أبو بكر النيسابوري هكذا قال أبو نعيم عن عبد الرحمن عن عائشة ، ومن قال عن أبيه في هذا الحديث فقد أخطأ

(قلت) أبو بكر النيسابوري امام في الفقه والحديث ، وكان له عناية بالاحاديث الفقهية وما فيها من اختلاف الالفاظ وهو أقرب الى طريقة أهل الحديث والعلم التي لا تعصب فيها لقول أحد من الفقهاء مثل أئمة الحديث المشهورين ولهذا رجح هذه الطريق وكذلك اهل السنن المشهورة لم يروه احد منهم الا النسائي ولفظه عن عائشة أنها اعتمرت مع رسول الله ﷺ من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت قالت يارسول الله بابي انت وأمي

قصرت وأتممت وافطرت وصمت فقال « أحسنت ياعائشة » وما عاب علي

وهذا بخلاف من قد يقصد نصر قول شخص معين فتتعلق له من الادلة

ما لو خلا عن ذلك القصد لم يتكلمه ولحكم ببطلانها

والصواب ماقاله ابو بكر وهو أن هذا الحديث ليس بمتصل وعبد الرحمن انما دخل على عائشة وهو صبي ولم يضبط ماقاله وقال فيه ابو محمد بن حزم هذا الحديث تفرد به العلاء بن زهير الازدي لم يروه غيره وهو مجهول وهذا الحديث خطأ قطعاً فانه قال فيه انها خرجت مع رسول الله ﷺ في عمرة في رمضان ومعلوم باتفاق أهل العلم ان رسول الله ﷺ لم يعتمر في رمضان قط ولا خرج من المدينة في عمرة في رمضان بل ولا خرج الى مكة في رمضان قط الا عام الفتح فانه كان حينئذ مسافراً في رمضان وفتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان باتفاق اهل العلم وفي ذلك السفر كان أصحابه منهم الصائم ومنهم المفطر فلم يكن يصلي بهم الا ركعتين ولا نقل احد من أصحابه عنه انه صلى في السفر أربعا والحديث المتقدم خطأ كما سنبينه ان شاء الله تعالى ، وعام فتح مكة لم يعتمر ، بل ثبت بالنقول المستفيضة التى اتفق عليها اهل العلم به انه انما اعتمر بعد الهجرة اربع عمر منها ثلاث في ذي القعدة ، والرابعة مع حجته : عمرة الحديبية لما صده المشركون حل بالحديبية بالاحصار ولم يدخل مكة ، وكانت في ذى القعدة . ثم اعتمر في العام القابل عمرة القضية ، وكانت في ذي القعدة ايضا ، ثم لما قسم غنائم حنين بالجعرانة اعتمر من الجعرانة ، وكانت عمرته في ذى القعدة أيضا ، والرابعة مع حجته ، ولم يعتمر بعد حجه لا هو ولا احد ممن حج

معه الا عائشة لما كانت قد حاضت وامرها أن تهل بالحج ، ثم اعمرها مع أخيها عبد الرحمن من التنعيم . ولهذا قيل لما بني هنالك من المساجد مساجد عائشة فانه لم يعتمر احد من الصحابة على عهد النبي ﷺ لا قبل الفتح ولا بعده عمرة من مكة الا عائشة . فهذا كله مما تواترت به الاحاديث الصحيحة مثل ما في الصحيحين عن انس ان رسول الله ﷺ اعتمر اربع عمر كلهن في ذي القعدة الا التي مع حجه : عمرة من الحديبية في ذي القعدة وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة وعمرة من الجعرانة في ذي القعدة حيث قسم غنائم حنين وعمرة مع حجته . وهذا لفظ مسلم . ولفظ البخاري اعتمر اربعا عمرة الحديبية في ذي القعدة حيث صده المشركون ، وعمرة في العام المقبل في ذي القعدة حيث صالحهم ، وعمرة حنين من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين ، وعمرة مع حجته

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب قال اعتمر رسول الله ﷺ في ذي القعدة قبل ان يحج مرتين . وهذا لفظ البخاري . وأراد بذلك العمرة التي اتمها وهي عمرة القضية والجعرانة . وأما الحديبية فلم يمكن اتمامها بل كان منحصرا لما صده المشركون وفيها أنزل الله آية الحصار باتفاق أهل العلم وقد ثبت في الصحيح عن عائشة لما قيل لها إن ابن عمر قال ان رسول الله ﷺ اعتمر في رجب فقالت يغفر الله لابي عبد الرحمن ما اعتمر رسول الله ﷺ الا وهو معه وما اعتمر في رجب قط ما اعتمر الا وهو معه وفي رواية عن عائشة قالت لم يعتمر رسول الله ﷺ الا في ذي القعدة وكذلك عن ابن عباس رواهما ابن ماجه وقد روى ابو داود عنها قالت اعتمر رسول الله ﷺ عمرتين عمرة في ذي القعدة

وعمرة في شوال . وهذا ان كان ثابتا عنها فلعله ابتداء سفره كان في شوال ولم تقل قط انه اعتمر في رمضان فعلم أن ذلك خطأ محض

واذا ثبت بالاحاديث الصحيحة أنه لم يعتمر الا في ذي القعدة وثبت أيضا أنه لم يسافر من المدينه الى مكة ودخلها الا ثلاث مرات عمرة القضية ثم غزوة الفتح ثم حجة الوداع وهذا مما لا يتنازع فيه اهل العلم بالحديث والسيرة وأحوال رسول الله ﷺ ولم يسافر في رمضان الى مكة الا غزوة الفتح كان كل من هذين دليلا قطعا على ان هذا الحديث الذي فيه انها اعتمرت معه في رمضان وقالت اتممت وصمت فقال احسنت خطأ محض. فعلم قطعا أنه باطل لا يجوز لمن علم حاله أن يرويه عن النبي ﷺ لقوله « من روى عني حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » ولكن من حدث من الثقات الذين لا يتعمدون خطأ لم يعدوا أنه كذب

فان قيل فيكون قوله في رمضان خطأ وسائر الحديث يمكن صدقه قيل بل جميع طرقه تدل على أن ذلك كان في رمضان لانها قالت قلت أفطرت وصمت وقصرت وأتممت فقال احسنت يا عائشة وهذا انما يقال في الصوم الواجب . واما السفر في غير رمضان فلا يذكر فيه مثل هذا لانه معلوم أن الفطر فيه جائز . وأيضا فقد روى البيهق وغيره بالاسناد الثابت عن الشعبي عن عائشة انها قالت فرضت الصلاة ركعتين ركعتين الا المغرب ففرضت ثلاثا فكان رسول الله ﷺ اذا سافر صلى الصلاة الاولى واذا أقام زاد مع كل ركعتين ركعتين الا المغرب لانها وتر والصبح لانها تطول فيها القراءة . فقد أخبرت عائشة أنه كان اذا سافر صلى الصلاة الاولى ركعتين ركعتين فلو كان تارة يصلى أربعا لاخبرت

بذلك وهذا يناقض تلك الرواية المكذوبة على عائشة . وأيضا فعائشة كانت حديثة السن على عهد النبي ﷺ فان النبي ﷺ مات وعمرها أقل من عشرين سنة فانه لما بنى بها بالمدينة كان لها تسع سنين وانما أقام بالمدينة عشرا فاذا كان قد بنى بها في اول الهجرة كان عمرها قريبا من عشرين ولو قدر أنه بنى بها بعد ذلك لكان عمرها حينئذ أقل . وأيضا فلو كانت كبيرة فهي انما تعلم الاسلام وشرائعه من النبي صلى الله عليه وسلم فكيف يتصور أن تصوم وتصلي معه في السفر خلاف ما يفعله هو وسائر المسلمين وسائر ازواجه ولا تخبره بذلك حتى تصل الى مكة؟ هل يظن مثل هذا بعائشة أم المؤمنين وهل لما فعلت هذا في هذه السفرة دون سائر أسفارها معه؟ وكيف تطيب نفسها بخلافه من غير استئذانه وقد ثبت عنها في الصحيحين بالأسانيد الثابتة باتفاق أهل العلم أنها قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم أتمها في الحضر وأقرت صلاة السفر على الفريضة . وهذا من رواية الزهري عن عروة عن عائشة ورواية اصحابه الثقات ومن رواية صالح بن كيسان عن عروة عن عائشة يرويه مثل ربيعة ومن رواية الشعبي عن عائشة . وهذا مما اتفق أهل العلم بالحديث على أنه صحيح ثابت عن عائشة فكيف تقدم مع رسول الله ﷺ على أن تصلي في السفر قبل أن تستأذنه وهي تراه والمسلمين معه لا يصلون الا ركعتين . وأيضا فهي لما أتمت الصلاة بعد موت النبي ﷺ لم يحتج بانها فعلت ذلك على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا ذكر ذلك لخبر الناس بها عروة ابن أختها بل اعتذرت بعذر من جهة الاجتهاد كما رواه النيسابوري والبيهقي وغيرهما بالاسانيد الثابتة عن وهب

ابن جرير ثنا شعبة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة انها كانت تصلي في السفر أربعا فقلت لها لو صليت ركعتين فقالت يا ابن أختي انه لا يشق علي .

وأيضا فالحديث الثابت عن صالح بن كيسان أن عروة بن الزبير حدثه عن عائشة أن الصلاة حين فرضت كانت ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر على ركعتين واتمت في الحضر اربعا . قال صالح فاخبرت بها عمر بن عبد العزيز فقال : إن عروة أخبرني أن عائشة تصلي أربع ركعات في السفر قال فوجدت عروة يوما عنده فقلت كيف اخبرتني عن عائشة فحدث بما حدثني به . فقال عمر أليس حدثتني أنها كانت تصلي أربعا في السفر قال بلى وفي الصحيحين عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت أول ما فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فزيد في صلاة الحضر وأقرت صلاة السفر . قال الزهري . قلت فما شأن عائشة كانت تتم الصلاة ؟ قال انها تأولت كما تأول عثمان . فهذا عروة يروي عنها أنها اعتذرت عن اتمامها بانها قالت لا يشق علي ، وقال انها تأولت كما تأول عثمان . فدل ذلك على أن اتمامها كان بتأويل من اجتهادها ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حسن لها الاتمام او كان هو قد اتم لكانت قد فعلت ذلك اتباعا لسنة رسول الله ﷺ وكذلك عثمان ولم يكن ذلك مما يتأول بالاجتهاد

ثم ان هذا الحديث اقوى ما اعتمد عليه من الحديث من قال بالاتمام في السفر وقد عرف انه باطل فكيف بما هو ابطل منه وهو كون النبي ﷺ كان يتم في السفر ويقصر ، وهذا خلاف المعلوم بالتواتر من سنته التي اتفق عليها اصحابه نقلا عنه وتبليغا الى امته . لم ينقل عنه قط احد من اصحابه انه صلى في

السفر اربعا بل تواترت الاحاديث عنهم انه كان يصلي في السفر ركعتين هو واصحابه

والحديث الذي يرويه زيد العمي عن انس بن مالك قال: انا معاشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كنا نسافر فمنا الصائم ومنا المفطر ومنا المتم ومنا المقصر فلم يعب الصائم على المفطر ولا المتم على المقصر، هو كذب بلا ريب وزيد العمي ممن اتفق العلماء على انه متروك والثابت عن انس انما هو في الصوم. ومما يبين ذلك انهم في السفر مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يصلون فرادى بل كانوا يصلون بصلاته بخلاف الصوم فان الانسان قد يصوم وقد يفطر فهذا الحديث من الكذب، وان كان البيهقي روى هذا فهذا مما انكر عليه ورآه اهل العلم لا يستوفي الآثار التي لمخالفيه كما يستوفي الآثار التي له [illegible] ولا يظهر ضعفها ويقدح فيها، وانما اوقعه في هذا مع علمه ودينه ما اوقع امثاله ممن يريد ان يجعل آثار النبي صلى الله عليه وسلم موافقة لقول واحد من العلماء دون آخر فمن سلك هذه السبيل دحضت حججه وظهر عليه نوع من التعصب بغير الحق كما يفعل ذلك من يجمع الآثار ويتأولها في كثير من المواضع بتأويلات يبين فسادها ليوافق القول الذي ينصره كما يفعله صاحب شرح الآثار ابو جعفر مع انه يروي من الآثار اكثر مما يروي البيهقي. لكن البيهقي ينقي الآثار ويميز بين صحيحها وسقيمها اكثر من الطحاوي

والحديث الذي فيه انه صلى الله عليه وسلم كان يقصر ويتم ويفطر ويصوم قد قيل انه مصحف وانما لفظه كان يقصر وتتم هي بالتاء وبفطر وتصوم هي ليكون معنى هذا الحديث معنى الحديث الآخر الذي اسناده

امثل منه فانه معروف من عبد الرحمن بن الاسود لكنه لم يحفظ عن عائشة . واما نقل هذا الآخر من عطاء فغلط على عطاء قطعا وانما الثابت عن عطاء ان عائشة كانت تصلي في السفر اربعا كما رواه غيره ، ولو كان عند عائشة عن النبي ﷺ في ذلك سنة لكانت تحتج بها ، ولو كان ذلك معروفا من فعله لم تكن عائشة اعلم بذلك من اصحابه الرجال الذين كانوا يصلون خلفه دائما في السفر فان هذا ليس مما تكون عائشة اعلم به من غيرها من الرجال كقيامه بالليل واغتساله من الاكسال فضلا عن ان تكون مختصة بعلمه ، بل امور السفر اصحابه اعلم بحاله فيها من عائشة لانها لم تكن تخرج معه في كل اسفاره فانه قد ثبت في الصحيح عنها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه . فانما كان يسافر بها احيانا وكانت تكون [illegible] وقد ثبت عنها في الصحيح انها لما سألها شريح بن هاني عن المسح على الخفين قالت سل عليا فانه كان يسافر مع النبي صلى الله عليه وسلم هذا والمسح على الخفين امر قد يفعله النبي صلى الله عليه وسلم في منزله في السفر فتراه دون الرجال بخلاف الصلاة المكتوبة فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يصليها في الحضر ولا في السفر الا اماما باصحابه ، الا ان يكون له عذر من مرض او غيبة لحاجة كما غاب يوم ذهب ليصلح بين أهل قباء وكما غاب في السفر للطهارة فقدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم الصبح . ولما حضر النبي ﷺ حسن ذلك وصوبه . واذا كان الامام انما كان والرجال يصلون خلفه فهذا مما يعلمه الرجال قطعا وهو مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله فان ذلك مخالف لعادته في عامة اسفاره فلو فعله احيانا لتوفرت هممهم ودواعيهم

على نقله كما نقلوا عنه المسح على الخفين لما فعله، وان كان الغالب عليه الوضوء وكما نقلوا عنه الجمع بين الصلاتين احيانا، وان كان الغالب عليه ان يصلي كل صلاة في وقتها الخاص، مع أن مخالفة لسنته اظهر من مخالفة بعض الوقت لبعض فان الناس لا يشعرون بمرور الاوقات كما يشعرون بما يشاهدونه من اختلاف العدد فان هذا امر يرى بالعين لا يحتاج الى تأمل واستدلال بخلاف خروج وقت الظهر وخروج وقت المغرب فانه يحتاج الى تأمل. ولهذا ذهب طائفة من العلماء الى ان جمعه انما كان في غير عرفة ومزدلفة بأن يقدم الثانية ويؤخر الاولى الى آخر وقتها، وقد روي انه كان يجمع كذلك فهذا مما يقع فيه شبهة بخلاف الصلاة اربعا فلو فعل ذلك في السفر فان هذا لم يكن يقع فيه شبهة ولا نزاع بل كان ينقله المسلمون ومن جوز عليه ان يصلي في السفر اربعا ولم ينقله احد من الصحابة، ولا يعرف قط الا من رواية واحد مضعف عن آخر عن عائشة والروايات الثابتة عن عائشة لا توافقه بل تخالفه — فانه لو روي له باسناد من هذا الجنس ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الفجر مرة اربعا لصدق ذلك، ومثل هذا ينبغي ان يصدق بكل الاخبار التي من هذا الجنس التي ينفرد فيه الواحد مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، ويعلم انه لو كان حقا لكان ينقل ويستفيض. وهذا في الضعف مثل ان ينقل عنه انه قال لاهل مكة بعرفة ومزدلفة ومنى، « أتموا صلاتكم فانا قوم سفر » وينقل ذلك عن عمر ولا ينقل الا من طريق ضعيف، مع العلم بان ذلك لو كان حقا لكان مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله. وذلك مثل ما روى ابو داود الطيالسي : حدثنا حماد ابن سلمة عن علي بن زيد عن ابي نضرة قال: سأل سائل عمران بن الحصين

عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر فقال : ان هذا الفتى يسألني عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر، فاحفظوهن عني : ما سافرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سفراً قط ، الا صلى ركعتين حتى يرجع ، وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً والطائف فكان يصلي ركعتين ، ثم حججت معه واعتمرت فصلى ركعتين ، ثم قال « ياأهل مكة أتموا صلاتكم فانا قوم سفر » ثم حججت مع أبي بكر واعتمرت فصلى ركعتين ركعتين ، ثم قال « ياأهل مكة أتموا صلاتكم فانا قوم سفر » ثم حججت مع عمر واعتمرت فصلى ركعتين وقال : اتموا صلاتكم فانا قوم سفر ، ثم حججت مع عثمان واعتمرت ، فصلى ركعتين ركعتين ، ثم ان عثمان أتم » فما ذكره في هذا الحديث من ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل في السفر قط الا ركعتين هو موافق لسائر الروايات ، فان جميع الصحابة انما نقلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى في السفر ركعتين

واما ما ذكره من قوله « ياأهل مكة أتموا صلاتكم فانا قوم سفر » فهذا انما قاله بمكة عام الفتح لم يقله في حجته ، وانما هذا غلط وقع في هذه الرواية . وقد روى هذا الحديث ابراهيم بن حميد عن حماد باسناده ، ورواه البيهقي من طريقه ولفظه : ماسافر رسول الله صلى الله عليه وسلم سفراً إلا صلى ركعتين ، حتى يرجع ويقول « ياأهل مكة قوموا فصلوا ركعتين فانا قوم سفر » وغزا الطائف وحنين ، فصلى ركعتين وأتى الجعرّانة فاعتمر منها ، وحججت مع أبي بكر واعتمرت ، فكان يصلي ركعتين ، وحججت مع عمر بن الخطاب ، فكان يصلي ركعتين ، فلم يذكر قوله إلا عام الفتح ، قبل

غزوة حنين والطائف ، ولم يذكر ذلك عن ابي بكر وعمر ، وقد رواه ابوداود في سننه صريحا من حديث ابن علية : حدثنا علي بن زيد عن ابي نضرة عن عمران بن حصين قال : غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم وشهدت معه الفتح ، فاقام بمكة ثماني عشرة ليلة يصلي ركعتين يقول «ياأهل البلد صلوا اربعا فانا قوم سفر» وهذا إنما كان في غزوة الفتح في نفس مكة لم يكن بمنى ، وكذلك الثابت عن عمر انه صلى باهل مكة في الحج ركعتين ثم قال عمر بعد ما سلم : اتموا الصلاة يا أهل مكة فانا قوم سفر.

هذا ومما يبين ذلك ان هذا لم ينقله عن النبي صلى الله عليه وسلم احد من الصحابة ، لا ممن نقل صلاته ، ولا ممن نقل نسكه وحجه مع توفر الهمم والدواعي على نقله ، مع ان ائمة فقهاء الحرمين كانوا يقولون ان المكيين يقصرون الصلاة بعرفة ومزدلفة ومنى [illegible] وكان معروفا عندهم عن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] مثل هذا الامر الذي يشيع ولا يجهله احد ممن حج مع النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وفي الصحيحين عن حارثة بن خزاعة قال : صلينا مع النبي ﷺ بمنى أكثر ما كنا وآمنه ركعتين . حارثة هذا خزاعي وخزاعة منزلها حول مكة

وفي الصحيحين عن عبدالله بن زيد قال ، صلى بنا عثمان بمنى اربع ركعات ، فقيل ذلك لعبد الله بن مسعود فاسترجع وقال صليت مع رسول الله ﷺ بمنى ركعتين ، وصليت مع ابي بكر بمنى ركعتين ، و صليت مع عمر بمنى ركعتين ، فليت حظي من اربع ركعات ركعتين متقبلتين ،

واتمام عثمان رضي الله عنه قد قيل انه كان لانه تأهل بمكة ، فصار مقيما ، وفي المسند عن عبدالرحمن بن ابي ذآب ، ان عثمان صلى بمنى اربع ركعات ، فانكر

الناس عليه فقال: يا ايها الناس اني تأهلت بمكة منذ قدمت، واني سمعت رسول الله ﷺ يقول «من تأهل في بلد فليصل صلاة مقيم» بمكة ثلاثة ايام ويقصر الرابعة» فانه يقصر كما فعل النبي ﷺ وهو لا يمكنه ان يقيم بها اكثر من ذلك. فان عثمان كان من المهاجرين، وكان المقام بمكة حراما عليهم

وفي الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم رخص للمهاجر أن يقيم بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثا، وكان عثمان اذا اعتمر يأمر براحلته فتهيأ له فيركب اليها عقب العمرة، لئلا يقيم بمكة فكيف يتصور أنه يعتقد أنه صار مستوطنا بمكة إلا إن قال أنه جعل التأهل اقامة لا استيطانا، فيقال معلوم أن من اقام بمكة ثلاثة ايام فانه يقصر كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يمكنه ان [illegible] لكن قد يكون نفس التأهل مانعا من القصر، وهذا ايضا ضعيف فان اهل مكة كانوا يقصرون خلف النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه بمنى، وايضا فالامراء بعد عثمان من بني أمية كانوا يتمون اقتداء به، ولو كان عذره مختصا به لم يفعلوا ذلك، وقيل انه خشي أن الاعراب يظنون ان الصلاة اربع وهذا ايضا ضعيف، فان الاعراب كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم اجهل منهم في زمن عثمان، ولم يتم الصلاة وايضا فهم يرون صلاة المسلمين في المقام اربع ركعات، وايضا فظنهم ان السنة في صلاة المسافر اربع خطأ منهم، فلا يسوغ مخالفة السنة ليحصل بالمخالفة ما هو مثل ذلك، وعروة قد قال ان عائشة تأولت كما تأول عثمان، وعائشة اخبرت ان الاتمام لا يشق عليها. (١)

(١) سبق مثل هذا الكلام أيضا في الصفحة ٤٢ من هذا الكتاب فانظره

ان يكون ذلك كما رآه من رآه لاجل مشقة السفر ، أو ان الدنيا لما اتسعت عليهم لم يحصل لهم من المشقة ما كان يحصل على من كان على إرماد كما قد جاء عن عثمان من نهيه عن المتعة التي هي الفسخ ، ان ذلك كان لاجل حاجتهم ، إذ ذاك الى هذه المتعة فتلك الحاجة قد زالت

(تمت)

جاء في آخر النسخة التي طبعنا عنها هذه الرسالة ما نصه :

هذا آخر ما وجدته من هذه القاعدة الجليلة ، للشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان المنقول عنها [illegible] كتبها [illegible] من نسخة بخط ابن القيم رحمهم الله وقد وقع [illegible] ١٣٤١ في المدرسة الداودية من بغداد المحمية ، وأنا الفقير عبد الكريم بن السيد عباس الأزجي والحمد لله رب العالمين



مسألة القبور والمشاهد عند الشيعة

﴿ مناظرة بين عالم شيعي وعالم سني ﴾

من المعلوم في كتب التاريخ أن رفع بناء قبور آل البيت وغيرهم من الصالحين وبناء القباب عليها وإيقاد السرج والقناديل فيها وجعلها مساجد يصلى فيها وشعائر يحج إليها خلافًا للأحاديث الصحيحة الزاجرة عن ذلك لعمل الصدر الأول — كل ذلك مما ابتدعه الشيعة الباطنية والظاهرية وقلدهم فيه بعض المنتسبين إلى السنة من الملوك والسلاطين الجاهلين ولا سيما الأعاجم منهم كالجراكسة والترك ومن مشايخ الطرق الصوفية

ويعلم قراء المنار أننا منذ أنشأناه في أواخر سنة ١٣١٥ إلى الآن ونحن ننكر هذه البدع ونشنع على أهلها في مصر وغيرها من غير تعرض لذكر الشيعة لأن هؤلاء أشد الفرق الإسلامية تعصبًا وجدلًا فتوجيه الكلام إليهم قلما يفيد إلا زيادة الشقاق الذي نسعى لإخماده وفاقًا ، ولكن نشرنا في [illegible] الثاني والمجلد الثالث عشر من المنار رسالتين لسائحين من أهل [illegible] (أولاهما) عن حال العراق تعرض فيها لدعاة الشيعة هنالك وذكر مسألة [illegible] في مسألة القبور والمشاهد في مذهب الشيعة [illegible] نشرهما قولًا وكتابة ، وقد ألف بعض علمائهم في سورية كتابًا سماه (الشيعة والمنار) فمرق المتعصبون منهم جهادنا في سبيل التأليف بينهم وبين أهل السنة

وجملة القول أن بعض علمائهم المتعصبين جعلوا المنار خصمًا للشيعة ولو اشتغلنا بالرد والإنكار على الشيعة عشر معشار اشتغالنا بالبدع المنتشرة في البلاد التي يعد أهلها من متبعي السنة لقضينا كل عمرنا في الجدل الذي يبغضه الله تعالى ويبغض أهله

وكنا نود أن نرى كتابة لبعض علمائهم المعاصرين يبين فيه أدلتهم في هذه المسألة ولا نعثر عليها حتى زارنا في هذا الشهر عالم سني كان في العراق وقعت بينه وبين أحد علماء الشيعة مناظرة شفاهية فيها تلتها مناظرة قلمية اطلعنا عليها فاستأذناه في نسخها ونشرها فأذن لنا ، وهي مبنية على الرسالة الثانية من الرسالتين اللتين أشرنا إليهما آنفًا ، ونبدأ بنشر ما كتبه العالم الشيعي وهو الأستاذ الشهير (السيد مهدي الكاظمي القزويني) ثم نقفي عليها برد العالم السني وهو (الأستاذ الشيخ محمد ابن عبد القادر الهلالي) ولكننا نعلق في الحواشي بعض الفوائد قبل الاطلاع على الرد كله ونشره   ﴿ المنار ﴾

رسالة العالم الشيعي (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعترته الطاهرين ، وعلى صحبه المنتخبين (١) وعلى التابعين لهم باحسان

ثم تحية وسلام على جناب العالم الفاضل الشيخ محمد بن عبد القادر الهلالي سلمه الله تعالى ووفقه معنا وسائر المؤمنين لما يرضيه

اما بعد فقد تناولنا بكمال الاحترام كتابكم الكريم المؤرخ لاربع خلون من شعبان وسبرنا ما اوعزتم اليه مما نشره المنار من أحد مكاتبيه في الجزء الرابع من المجلد الثالث عشر في صفحة [illegible] وتلقينا سؤالكم عن الحقيقة بتمام السرور والانشراح رغبة بكشف الالتباس ورفعاً لسوء التفاهم بين المسلمين ، ولذا تتبعنا كلام المكاتب فقرة فقرة وان استلزم ذلك طولا في البحث لكنكم ستسامحوننا عليه إن شاء الله تعالى

قال المكاتب : والعجب من علمائهم - يعني الشيعة - انه لا يوجد كتاب من فقههم الا وفيه لا يجوز البناء على القبور والسرج عليها وتجديدها وبناء المساجد

(*) ننشر الرسالة بنصها على غلط ما فيها

(١) من عادة علماء الشيعة انهم لا يذكرون الصحابة في مثل هذا المقام الا مع وصف يقيدون به الصلاة او السلام او الرضي به ، والمنتخبون هنا هم الذين يعدونهم من شيعة علي (رض) على ان الذين يزعمون انهم ارتدوا منهم والذين يجزمون بان اسلامهم كان رياء كأبي سفيان ومعاوية لا يدخلون في عموم الصحابة ان صح ذلك عنهم لان شرط صفة الصحابي عند أهل السنة ان يجتمع بالنبي (ص) مؤمنا به ويموت على ذلك وهم اولى بهذا الاشتراط

عليها ثم لا ترى منهم منكر الذلك بل يعدونه من افضل القربات انتهى

نقول كان على المكاتب ان يذكر على الاقل كتابا واحدا من كتب الشيعة في الفقه مصرحا فيه بعدم جواز هذه الامور ليكون شاهدا على صدقه فيما ادعاه ، وأنى له بذلك وهذه كتب الشيعة منتشرة في غاية الكثرة لم نجد في واحد منها ما نسبه اليهم

قال المكاتب استدلالا بما قال الشيخ محمد حسن النجفي صاحب كتاب الجواهر المتوفى في اواسط القرن الثالث عشر على عدم جواز البناء على القبور عند ذكر صاحب المتن انه لا يجوز انتهى

نقول سبحانك اللهم مغفرة وعفوا وعجبا من مدعي العلم كيف يحرف الكلام عن مواضعه ولم يدقه على وجهه ؟ ان نص عبارة كتاب الجواهر هكذا: (والفاضل المحقق الحلي المتوفى سنة ست وسبعين وستمائة مصنف كتاب شرائع الاسلام في الفقه وهو المتن الذي شرحه الشيخ محمد حسن النجفي وسمى شرحه جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام) من الكلام في المسنونات شرع في الكلام في المكروهات فمنها « انه يكره فرش القبر بالساج الا لضرورة » ثم ذكر جملة من المكروهات الى ان قال « ومنها تجصيص القبور » هذا نص المتن فهل يتوهم احد من هذه العبارة عدم جواز البناء على القبور بعد تصريح المصنف بانه يكره تجصيصها ؛ حاشا وكلا

ثم ان صاحب الجواهر بعد ان ذكر المتن المزبور اخذ يستدل على كراهة التجصيص ومن جملة ما استدل به الحديث المروي عن علي بن جعفر (ع) قال سألت ابا الحسن موسى - يعني الكاظم (ع) عن البناء على القبر والجلوس عليه هل يصلح ؟ قال لا يصلح البناء عليه ولا الجلوس ولا تجصيصه ولا تطيينه

اما وجه الاستدلال به على كراهة التجصيص فهو ان الجلوس على القبر ليس بمحرم عندنا فتكون سائر الامور المذكورة معه ليست محرمة للزوم تساوي المتعاطفات في الحكم[1] فقوله (ع) لا يصلح انما يريد به الكراهة لا التحريم بقرينة ذكر الجلوس الذي ليس بحرام . ولكن مكاتب المنار لم يذكر من الحديث الا قوله لا يصلح البناء على القبر واسقط منه الباقي ليوهم القارئ ان الحديث دال على التحريم ولا شك ان اسقاط بعض الحديث خيانة في النقل ، على ان لفظ الحديث «لا يصلح» وهو بنفسه لا يدل على التحريم لان نفي الصلاح في شيء لا يستلزم ثبوت الفساد فيه ، فلا تحريم اذن

ثم قال صاحب الجواهر ومما يشعر بكراهة التجصيص قول الصادق (ع) كل ما جعل على القبر من غير تراب القبر فهو ثقل على الميت . وهذا الحديث لا دخل له بموضوع المسألة لان المفهوم منه كراهة ان يهال على الميت من غير تراب القبر فالصادق (ع) كانه قال لا يهال على القبر الا التراب الذي استخرج من نفس القبر عند حفره ولا يؤتى بشيء من غيره فيوضع في القبر[2] الا انه يمكن ان يفهم منه كراهة تجصيصه

(١) المنار : انما يصح هذا الاستدلال اذا كان ما ذكر مرويا عن الامام الكاظم نفسه ، ومذهبهم الذي هم عليه لا يصح أن يكون قيدا لكلامه يحمل عليه لانه لم يكن مدونا في عصره ولم يكن هو مقلدا لهم فيه وهم مخالفون في هذه المسألة نفسها لان قوله بأنه مكروه شرعا مع تفسيرهم يقتضي تركه وما هم بتاركيه

(٢) هذا تحريف لكلمة الامام مخالف للمتبادر منها وهو ما كان عليه جميع سلف الامة قبل المذاهب والتفرق اعني تسوية القبور بالارض وعدم البناء عليها مخالفة للكفار ولا معنى لعدم وضع حفنة أو حفنات من التراب غير المستخرج منه فهذا مما يجل الامام عن النهي عنه اذ لا فائدة فيه

ولا عجب منه فانه لما تظاهر بالتمدن الغربي وادخل نفسه في عداد المتنورين بزعمه وتراءى للناس بمظهر بيان الحقائق سولت له نفسه أن قارئ كتابه لا يتهمه بالافتراء على الشيعة ولهذا تجاسر على تحريف كلمات العلماء وساق الاحاديث على غير مساقها بعد أن لعب بها (١) كل ذلك ليشوه وجه الشيعة وسمعتهم عند من لم يعرف حقيقة الحال ، ولم يدر — وليته درى — بانه سود بذلك صحيفة تاريخه وتاريخ المنار فاين الكراهة من التحريم واين تجصيص القبور أو البناء عليها من البناء الذي قصد التشنيع به كالقباب وغيرها (٢) فان من الواضح أن البناء المذكور في حديث الكاظم عليه السلام سؤالا وجوابا انما هو بناء نفس القبر وهو الذي لا يصلح كما يشهد به قوله في الحديث: ولا الجلوس عليه ولا تجصيصه ولا تطيينه. فهل يفهم من هذا الكلام [illegible] فرق بين بناء نفس القبر (٣) وبين القبة المبنية على أساسات لا دخل لها بالقبر أصلا

قال المكاتب وفي كتاب محمد بن يعقوب الكليني عن سماعة قال سألت الصادق (ع) عن زيارة القبور وبناء المساجد عليها فقال اما زيارة القبور فلا بأس ولا يبنى عليها مساجد قال النبي (ص) « لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجداً فان الله لعن اليهود حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » انتهى

(١) هو الذي لعب بنصوص الائمة وحرفها كما علم مما أشرنا وما نشير اليه ومن رد الاستاذ الهلالي الآتي (٢) الكراهة ليست بعيدة عن التحريم كل هذا البعد فكل منهما مذموم منهي عنه شرعا الا أن التحريم أشد ومكاتب المنار لم يصرح بلفظ التحريم فيستحق به كل هذا التقريع وشرك المنار معه فيه وشوه تاريخه! (٣) النهي عن بناء القباب ثابت في الاحاديث الصحيحة ومنها قول الصادق الذي ذكره المكاتب وحرفه الاستاذ كغيره والغرض منه ومن النهي عن بنائها قسبا واحد وهو سد ذريعة الشرك كما فعل أهل الكتاب

نقول يوجد فيما نقله الكاتب من حديث سماعة بعض تغييرات لا تختلف بها المعنى ولكن العجب منه أنه ذكر الحديث النبوي عقيب حديث سماعة بصورة توهم أن الصادق (ع) استشهد به على قوله ، مع أن الحديث النبوي لا وجود له في كتاب الكليني اصلا ، ثم توجد روايته مرسلة في بعض كتب الشيعة

وكيف كان فيعلم أن جميع ما جاء من بناء المساجد واتخاذها على القبور ، أو فيها ، أو عندها ــ حسب اختلاف النقل ــ إنما يراد به النهي عن جعل نفس القبر مسجدا أي موضعا يسجد عليه وليس المراد بالمسجد ماهو المعروف بين المسلمين من المكان الذي يصلى فيه ، لأنه حينئذ لا يكون معنى معقول لبناء المسجد على القبر أو اتخاذ المسجد عليه ، وهل يتصور في الامكنة بناء مسجد على نفس القبر؟ ويشهد لما قلناه نفس الحديث النبوي «لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجداً» فانه (ص) نهى عن اتخاذ قبره قبلة يتوجه اليه المصلي ولا يستقبل القبلة ونهى عن اتخاذ قبره موضعا للسجود عليه فان الله لعن اليهود حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ومن المعلوم أن ليس لليهود مساجد بالمعنى المعرف عند المسلمين، فالمقصود اذن بيان انهم اتخذوا قبور أنبيائهم مواضع يسجدون عليها(١)

وفي صحيح البخاري باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور وذكر حديث عائشة (رض) عن النبي (ص) وفيه « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » قالت ولولا ذلك لأبرز قبره غير اني

«١» قوله فيعلم ان جميع ما جاء في بناء المساجد إلى هنا وما بعده باطل أصلا ودليلا كما ستعرفه في الرد عليه وأغرب بدعواه ان أهل الكتاب يصلون على قبور أنبيائهم

أخشى أن يتخذ مسجدا انتهى فهل يفهم من هذا الحديث الا اتخاذ نفس القبر موضعا يسجد عليه ؟ قال في فتح الباري قوله لأبرز قبره أي لكشف قبر النبي (ص) ولم يتخذ عليه الحائل فهل يوجد أصرح من ذلك؟ ولا شك أن السجود على نفس القبر لا يجوز ، وهذا المعنى هو المنهي عنه في جميع أحاديث الباب ، وربما حملها بعض العلماء على إرادة السجود لنفس القبور تعظيما لها وهذا المعنى وإن كان غير جائز أيضا لانه عبادة للقبور إلا أن الاحاديث ليست مسوقة للنهي عن ذلك بل النهي عن السجود على نفس القبر وسنذكر أقوال العلماء الذاهبة الى هذا المعنى فيما يأتي إن شاء الله

وتوجد (أيضا) معان ثلاثة غير المعنى الذي قررناه الا أنه لا يمكن تفسير الاحاديث بواحد منها (أحدها) أن يراد النهي عن وصل المساجد بمواضع القبور [illegible] فإن مسجد النبي (ص) قد وصل بموضع قبره [illegible] والتابعين فكيف يدعى أن ذلك منهي عنه وقد رضي به الصحابة والتابعون وسائر المسلمين

(ثانيا) أن يراد النهي عن أن يقوم المصلي حول القبر ويسجد على الارض قريبا من القبر ، وهذا التأول أيضا خطأ لا يصح حمل الاحاديث عليه لانه لا ريب في أن البقعة المتضمنة لقبر نبي أو إمام عادل أو ولي لله تعالى أو غيره ممن له عند الله منزلة جليلة وجاه عظيم تكون أشرف وأفضل من غيرها لنسبة شرف المدفون فيها وفضله ، قال النواوي في شرحه لصحيح مسلم في باب فضل الصلاة بمسجد في مكة والمدينة قال القاضي عياض أجمعوا على أن موضع قبره (ص) أفضل بقاع الارض ولا ريب أيضا(١) في أن الصلاة

١) قوله ولا ريب أيضا ـ هو من كلامه لا من كلام النووي وكان ينبغي له الفصل بينهما بكلمة انتهى أو علامة أخرى كما فعل في مواضع أخرى

ومثلها الدعاء وقراءة القرآن وسائر الاذكار والاعمال الشرعية في الاماكن الشريفة تكون أقرب الى قبولها عند الله تعالى(١) ولهذا صارت الصلاة في المسجد أفضل من الصلاة في غيره . ولاجل الحصول على هذا الفضل كان السلف الصالح وأئمة المسلمين حتى في زماننا هذا يصلون ويدعون ويتضرعون الى الله تعالى عند قبر النبي (ص) حتى إن صفوف الصلاة تحاذي نفس القبر الشريف(٢)

(ثالثا) أن يراد بها النهي عن إنشاء المساجد واتخاذها حول القبور وهذا التأول خطأ أيضا لانه لا محذور في أن يتقرب العبد إلى الله تعالى ببناء مسجد تقام فيه الصلوات في تلك البقاع الشريفة مع ما ورد من أن من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة وهو حديث عام لا يخص بقعة دون بقعة ولا زمان دون زمان بل بناؤه وإنشاؤه في البقاع الشريفة أولى لكونه حينئذ يشتمل على جهتين من الشرف شرف البقعة وشرف المسجدية(٣)ففي فتح الباري في باب هل تنبش قبور مشركي

---

(١) قوله هذا باطل من وجهين (أحدهما) ان ماهو الاقرب إلى القبول عند الله تعالى لايعلم الا بنص من كتابه او كلام رسوله «ص» لانه تعبدي لامجال للرأي فيه فالنبي «ص» صرح لنا بفضل الصلاة في المساجد الثلاثة على غيرها على نسبة لامجال للرأي فيها ونهى عن شد الرحال إلى غيرها فلا يقاس عليها غيرها (وثانيهما) انه «ص» قد نهى وزجر عن تعظيم قبور الانبياء والصالحين بالصلاة فيها أو اليها وتشريف بنائها ووضع السرج عليها وهو موضوع المناظرة كيف يقيس مانهي عنه على ماأمر به وحكمة هذا النهي ظاهرة وهي ان الناس عبدوا الصالحين وقبورهم كما سيأتي بيانه

٢) ماعزاه إلى السلف الصالح وأئمة المسلمين باطل قطعاً لم يستطع ولا يستطيع أن يأتي بنص فيه وماعداهم لاقيمة لهم ولا سيما بعد انتشار البدع ولا سيما أهل زماننا هذا

«٣» هذه مغالطة ظاهرة البطلان لانها عبارة عن منع النبي «ص» من تخصيص =

الجاهلية قال البيضاوي(١) لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الانبياء تعظيما لشأنهم ويجعلونها قبلة يتجهون في الصلاة نحوها واتخذوها اوثانا لعنهم — اي رسول الله (ص) ومنع المسلمين عن مثل ذلك فاما من اتخذ مسجدا في جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا التعظيم له ولا التوجه نحوه فلا يدخل في ذلك الوعيد انتهى.

وفي الكتاب المذكور في باب قول النبي (ص) « جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً » قال وايراده — يعني حديث جابر — هنا يحتمل أن يكون اراد أن الكراهة في الابواب المتقدمة ليست للتحريم لعموم قوله (ص) «جعلت لي الارض مسجدا » أي كل جزء منها يصلح ان يكون مكانا للسجود او يصلح ان يبنى فيه مكان للصلاة ويحتمل ان يكون اراد ان الكراهة فيها للتحريم وعموم حديث جابر مخصوص بها والاول اولى لان الحديث سيق في مقام الامتنان فلا ينبغي تخصيصه انتهى (٢)

= ماكان عاما من أقواله وسيأتي تفصيله ومسجد الضرار حجة من الله تعالى عليه . وماذكره من البيضاوي عليه لا له على ان البيضاوي ليس شارعا وذلك ان المسلمين فعلوا بمساجد الانبياء والصالحين ما فعل أهل الكتاب من كل وجه وفاقاً لقوله (ص) « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعا بذراع » الخ وهو في الصحيحين وغيرهما ولكن المتأولين والجدليين منهم يسمون عبادتها تبركا ودعاء أصحابها من دون الله توسلا كما يأتي (١) أن حديث الباب المذكور وماذكره الحافظ في شرحه من الفتح حجة على هذا العالم الشيعي وهادم لتأويله الباطل في المسألة ولكنه لا ينقل من الكتب الا ما يوافق مذهبه لان المذاهب عنده وعند سائر المقلدين المتعصبين هي أصل الدين والكتاب والسنة فرعان ان أيدا المذهب قبلا والا حرفا بالتأويل

«٢» قد اسقط الاستاذ الشيعي من نقله هنا عبارة صريحة في ان المراد بالعموم الارض لذاتها قبل طروء ما يمنع صحة الصلاة عليها كالنجاسة ومثلها سائر المنهيات وهل هذا الا خيانة في النقل لاجل العصبة المذهبية ؟

وحيث تبين خطأ تأويل الاحاديث باحد تلك المعاني الثلاثة تعين ان يكون المراد بها ما قررناه اولا وهو جعل نفس القبر موضعا يسجد عليه او قبلة يصلى اليها وهذا المعنى هو المنهي عنه بتلك الاحاديث حسب ما شرحناه ، لكن بعض العلماء تأولها بالسجود لنفس القبور تعظيما لها كما تقدم نقله عن البيضاوي

وقال النواوي في شرح صحيح مسلم في باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد قال العلماء انما نهى النبي (ص) عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدا خوفا من المبالغة في تعظيمه والافتتان به فربما ادى ذلك الى الكفر كما جرى لكثير من الامم الخالية ثم ذكر حكمة زيادة مسجد رسول الله (ص) وادخال قبره فيه وقال بنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد فيصلي عليه العوام ويؤدي الى المحذور انتهى

وفي فتح الباري في باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد لقول النبي (ص) «لعن الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد» قال ان الوعيد على ذلك يتناول من اتخذ قبورهم مساجد تعظيما ومغالاة كما صنع أهل الجاهلية وجرهم ذلك الى عبادتهم ، ويتناول من اتخذ أمكنة قبورهم مساجد بان تنبش وترمى عظامهم ، انتهى

نقول إن ماذكره هؤلاء في تأويل هذه الاحاديث غير مفهوم منها ولا ظاهر من سياقها ، وعسى أن يكونوا لم يهتدوا الى المعنى الذي قررناه ، مع انه في غاية الظهور ، فتأولوها بذلك(١) وعلى أي حال ، فلا

---

(١) ماقاله هؤلاء هو معناها الذي فهمه السلف والخلف وليس تأولا وماقاله هو عصبية لأفعال الشيعة المتأخرين باطل وبطلانه في غاية الظهور ولعله لذلك لم يخطر في بال غيره إلا أن يكون مثله في التعصب الذي يخفي الحقائق وفي ضعف العلم باللغة العربية

ريب في أن السجود للقبور تعظيما لها لا يجوز بل هو كفر وشرك ، لكونه عبادة وسجودا لغير الله جل وعلا ، ولا يتصور صدور ذلك من مسلم

واذ شرحنا معاني الاحاديث فليتضح لنا مكاتب المنار عن جهة انتقاده على الشيعة :(١) إن زعم انهم يسجدون للقبور تعظيما لها — قلنا سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) وإن زعم أنهم في صلواتهم لله يسجدون على قبور أئمتهم ، كذبه الوجدان مع أن قبور الائمة (ع) محاطة بصناديق وشبابيك تمنع من وصول أحد الى نفس القبر ، وان زعم موافقة عمل الشيعة لاحد المعاني الثلاثة المتقدمة فقد يظهر ذلك غير منهي عنه ولا محذور فيه[٢] بل هو واجح شرعا واهل السنة والجماعة عاملين به فهم مشاركون للشيعة في ذلك[٣] مضافا الى [illegible] مسجدا هو [illegible] القبور المشهورة[٤] ثم ان الشيعة يصلون [illegible] الى الله تعالى [illegible] ويتضرعون اليه في مشاهد قبور ائمتهم (ع) لكن مجرد الصلاة والدعاء ونحوه لا يصيرها مساجد[٥] ولو ان احدا واظب على ان يصلي ويدعو ويقرأ القرآن مدة حياته في مكان خاص من بيته فان ذلك المكان بالضرورة لا يصير مسجدا بكثرة العبادة فيه[٦] وحينئذ ماوجه امجب مكاتب المنار

١) قد جعل شرحه الباطل للاحاديث المجهول لغيره أصلا فرض انه مسلم عند خصمه فبنى احتجاجه عليه ، وهو تحكم عجيب ، ومنطق غريب «٢» لكن مكاتب المنار فهم من الاحاديث ما فهمه جماهير العلماء وهو ما نقله هو آنفا عن الامامين الحافظين النووي وابن حجر ولم يكن هو عالما بتأويل حضرته ولو علمه لما قلده فيه «٣» ان مكاتب المنار ينكر هذه المخالفة للاسلام لذاتها لا لصدورها عن الشيعة فمن شاركهم من المنتسبين إلى السنة فيها فهو مثلهم «٤» قوله هذا مخالف للواقع «٥و٦» بل يصيرها مساجد خاصة ولا يشترط في المسجد أن يكون عاما وقد عقد البخاري في صحيحه بابا خاصا بمساجد البيوت

من علماء الشيعة وانه لايرى منهم احداً منكراً لذلك فيصرح برأيه فان أي المعاني المتقدمة يجب في نظره ان ينكره علماء الشيعة ؛ هل المعنى الذي لم يرتكبه حتى الجاهل من الشيعة بل لا يمكن ارتكابه وهو السجود على نفس القبر ؛ او احد المعاني الثلاث التي بعضها لاوجود له اصلا وبعضها مشترك العمل بين الشيعة واهل السنة وهو عمل راجح شرعا وعقلا ولو انه فهم معاني احاديث بناء المساجد واتخاذها على القبور وراجع وجدانه في ذلك لما تورط في هذا الخطأ الفاحش(١) واعجب منه ان صاحب المنار نشر هذا الخطأ مع ادعائه التبحر في المعارف(٢)

اما الحديث الذي وعد المعترض ببيان خطئه وهو المروي عن امير المؤمنين (ع) قال بعثني رسول الله (ص) في هدم القبور وكسر الصور . فليس فيه بيان الموضع المبعوث اليه ولا بيان ان القبور [illegible] في هدمها . لكن متن الحديث يرشد الى ان الموضع كان في بلاد المشركين يومئذ او من بلادهم وان القبور قبورهم وان الصور المجعولة على القبور او حولها إن لم تكن هي الاصنام التي يعبدونها فهي التماثيل التي يعملونها مثالا لعظمائهم

«١» ملخص هذا ان مكاتب المنار مخطىء لانه موافق لعلماء الحديث ومتبع للسلف الصالح «رض» ومنهم أئمة آل البيت (ع) ولكنه مخالف للخلف من الشيعة ! ! فهكذا تكون الحجج وهكذا يكون العلم

٢) أين ادعى هذه الدعوى صاحب المنار ؟ وهل ينافي التبحر في المعارف نشر رسالة لسائل فيها شيء من الخطأ ؟ وهل توجد في الدنيا مجلة ولا جريدة تشترط في كل ما ينشر فيها لغير صاحبها أن يكون صوابا في نفسه ولا في رأي صاحبها ، دع اشتراط موافقة آراء المخالفين لها اذا فرضنا انهم يعلمونها ، إن هذا النوع من تحكم التعصب غريب جداً !!

ووجدوا فيها او حولها صورهم وتماثيلهم في مصر في سورية في تدنوى في العراق؛ ومن المعلوم ان في زمن النبي (ص) لم تكن قبور المسلمين مشيدة بالبناآت الضخمة حتى يبعث من يهدمها، ولم يكن المسلمون يعملون الصور والتماثيل كما يشهد به التاريخ(١)

ونظير هذا الحديث ما رواه مسلم في صحيحه عن ابي الهياج الأسدي عنه (ع) قال ألا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله (ص) ان لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته.

ولا شك ان التمثال من صنع المشركين اما تسوية القبر فهو تعديله وتسطيحه يعني اذا وجدت قبرا مشرفا مسنما فسوه اي عدله وسطحه ففي صحيح مسلم حديث ابي علي الهمداني قال كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوي ثم قال سمعت رسول الله (ص) يأمر بتسويتها قال النواوي في شرحه قوله يأمر بتسويتها وفي الرواية الاخرى ولا قبرا مشرفا إلا سويته فيه ان السنة ان القبر لا يرفع على الارض رفعا كثيرا ولا يسنم بل يرفع نحو شبر ويسطح انتهى محل الحاجة منه، واشار اليه الشيخ تقي الدين بن تيمية في المجلد الاول من كتابه منهاج السنة في صفحة ٥٤٦ مستدلا به للشافعي فانه بعد ان ذكر ان مذهب ابي حنيفة واحمد ان تسنيم القبور أفضل قال والشافعي يستحب التسطيح لما روي من الامر بتسوية القبور ورأى ان التسوية هي التسطيح انتهى والحق مع الشافعي في ذلك وليس هو رأيا رآه كما زعمه الشيخ بل التسوية في اللغة هي التعديل ففي المصباح المنير سويته عدلته

(١) الحمد لله هذا حجة عليه وعلى شيعته

وملوكهم ويشهد بذلك ما نقرؤه في كثير من الصحف والمجلات مما يستخرجه علماء الآثار من الاحافير التي عثروا فيها على كثير من قبور الملوك القدماء وفي مختار الصحاح سويت الشيء تسوية فاستوى ثم قال بعد ذلك واستوى الشيء اعتدل وحينئذ فتسوية القبور عبارة عن تعديلها ولا معنى لتعديلها إلا تسطيحها وهو الذي فهمه الشافعي من لفظ الحديث، وتعقبه النواوي في كلامه المتقدم، ونطقت به اللغة وليس معنى تسوية الشيء قلعه وهدمه قال الله تعالى (فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ، خلق فسوى ، رفع سمكها فسواها، فسواهن سبع سموات) ونحوه كثير من كلام الفصحاء[1]

فبأي وجه يزعم من ليس له قدم راسخة في العلم انه (ص) امر بهدم القباب والبناآت التي تكون حول قبور الانبياء والائمة والشهداء والصالحين ومع ان هذه لم تكن معهودة في زمنه حتى يأمر بهدمها فهل تقاس بقبور المشركين وبالتماثيل والصور؟ حاشا وكلا فان هذا من اقبح القياسات واشنعها مضافا الى ان ما عرض به مكاتب المنار من القباب والبناآت المشيدة على اساسات لا دخل لها بالقبور اصلا كما يشاهده العيان كانت مشيدة

(١) المتبادر من تسوية القبور هو جعلها مساوية ومعادلة لسطح الارض، ومنه قوله تعالى (لو تسوى بهم الارض) وقد تجاهل المعترض هذا المعنى وهو المراد وجاء بالشواهد على تسوية الخلق، وتشريفها رفع بنائها فقوله (ص) « ولا قبراً مشرفاً الا سويته » ولا قبراً مرتفع البناء إلا هدمته وسويته بالارض . وقد رووه عن الصادق بلفظ الهدم وهو مع ذلك ينكر ان يكون بمعنى الهدم فأين اتباعه للامام الصادق ؟ وقد نقل النووي عن الام للامام الشافعي ان الائمة بمكة كانوا يأمرون بهدم ما رفع من القبور وكان العلماء يقرونهم على ذلك عملا بهذا الحديث ، ولم ينقل المعترض هذا عن النووي مع علمه به لانه لا ينقل الا ما وافق هواه وان عاب ذلك على مكاتب المنار وأما تسوية الخلق فلها معنى آخر ظاهر

منذ عدة قرون بمرأى من المسلمين ومسمع لم ينكره احد منهم حتى الذين رووا حديث ابي الهياج الاسدي لعلمهم بان هذا ونحوه انما ورد في المعنى الذي ذكرناه(١) ولكن جاء بعدهم قوم لم يتدبروا معاني الاحاديث ولم يتفطنوا لما عليه اسلافهم فشددوا النكير على تشييد القباب والبناآت حول القبور زعما منهم انهم فهموا من الاحاديث مالم يفهمه الاولون الراسخون في العلم وأنهم وصلوا الى مالم يصل إليه أئمة المسلمين وهيهات ذلك مع ان هؤلاء ليس لهم ان يجتهدوا لو كانت لهم اهلية الاجتهاد في استنباط الاحكام الشرعية ومعرفة الحلال والحرام بعد تقرر اجماع اهل السنة على وجوب التقليد والأخذ بقول أحد المذاهب الأربعة(٢)

ثم وصلت النوبة الى مكاتب المنار [illegible] الاقوال طعن بها على الشيعة بزعمه ونشرها المنار [illegible] وقد [illegible] ان يطعنا عندنا على أهل السنة حيث شيدوا كالشيعة بناآت القبور وقبابها منذ أكثر من تسعمائة سنة(٣) ومن المعلوم بالوجدان أن القبور التي شيدها أهل السنة في مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف ومصر والشام والعراق وغيرها من الاقطار هي أكثر مما شيده الشيعة سيما ان أول من شيد قبر النبي

١) هذا زعم باطل كأمثاله من مزاعمه فقد أنكر علماء السنة ذلك في كل عصر لعلمهم أن النبي (ص) لم يأمر بهدم القبور المعظمة عند من قبلنا وبطمس تماثيلهم إلا سداً لذريعة الاقتداء بهم كما صرحت به عائشة في حديث لعن اهل الكتاب الذين فعلوا ذلك قالت «يحذر ماصنعوا» (٢) في هذا القول عدة أباطيل سيأتي بيان الرد عليه (٣) هذا كسابقه من مزاعمه كاذكرنا في المقدمة لهذه المناظرة والتاريخ الذي ذكره حجة على أنها مبتدعة بعد القرون الثلاثة ومبطل لزعمه انها كانت في زمن السلف الصالح والائمة

المؤمنين (ع) هو هرون الرشيد العباسي خليفة المسلمين في عصره وتابعه على ذلك سائر الخلفاء حتى عبد الحميد خان التركي فانهم لم يزالوا يجددون عمارته كلما مست الحاجة الى تجديدها

فليت شعري أن المنار ومكاتبه كيف نظرا بعين السخط الى ما شيده الشيعة وأغمضا عيناً مما شيده أهل السنة او نظرا اليه بعين الرضاء[1] ثم نقول يحق للشيعة بل ولكل مسلم ان يعدوا تشييد تلك القبور الشريفة من اعظم القربات . وايم الله ان مكاتب المنار صدق بهذه النسبة اليوم وهي بكونها فضيلة احرى من كونها رذيلة وهو اراد أن يذم فمدح وان يشنع فبجل ، وذلك ان الجهات الناصة برجحان زيارة قبر النبي (ص) وقبور أهل بيته الذين وجبت مودتهم بآية القربى تستدعي اجتماع المؤمنين من سائر الاقطار في تلك المشاهد لزيارتها والقيام فيها بالصلاة وسائر العبادات ، وذلك موجب لاعداد محال واسعة حول القبور تكون مجمعا للزائرين وهي تفتقر الى بناآت فخمة واقية لنفس القبور والفرش التي حولها وللقناديل المسرجة ليلا لقراءة القرآن والادعية في المصاحف والصحف ، وحافظة لمن يزور تلك القبور من الحر والبرد والمطر وعواصف الرياح وتغيرات الجو ونحو ذلك ليتمكن الزائر أن يقوم بانواع العبادات لله تعالى فان بيت النبي (ص) وبيوت أهل بيته (ص) من اعاظم البيوت التي امر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه كما روى السيوطي ما دل عليه في تفسير هذه الآية الكريمة ، وان تلك البيوت مما يجب احترامها

---

(١) قد علم مما تقدم بطلان هذه الدعوى وما كان صاحب المنار متعصباً لمذهب ولا لفرقة ولا طائفة على أخرى فيفعل ذلك وانما يتبع قوة الدليل وليس منه عمل هارون ولا عبدالحميد

وتعظيما في حال حياتهم فكذا قبورهم وان تعظيم بيوتهم في حال حياتهم انما هو لوجودهم فيها فكذا قبورهم ، ولأنهم احياء عند ربهم يرزقون

ومن هذا يظهر رجحان احترام قبور الشهداء والصديقين والعلماء والصالحين خصوصا بعد ان ورد في الحديث « ان حرمة المؤمن ميتا كحرمته حياه

ثم لنفرض انه لا دليل على رجحان تلك البناآت شرعا لكنها مباحة قال الشيخ تقي الدين بن تيمية في المجلد الاول من كتابه منهاج السنة في صفحة ١٢٥ نقل عن الحنفية وعن كثير من الشافعية والحنبلية اباحة ما لم يرد فيه نص شرعي ، فاذا كان ذلك مباحا عند هؤلاء العلماء من أهل السنة ولا محذور ولا ضرر في وجوده فماذا ينتقده مكاتب المنار ؟ واذا كانت تلك البناآت مباحة في انفسها فماذا لا تكون راجحة بلحاظ ما يترتب عليها من الغايات الشريفة والأعمال الحسنة التي هي من سائر العبادات لله جل شأنه . وكيف لا تعد الشيعة تشييدها من أفضل القربات ؟ وهل مسلم ينكر فضل تلك الغايات المقصودة من تلك البناآت التي يضطر اليها الزائرون والمتعبدون ؟

ولاجل أن الشيعة استندوا الى ما ذكرناه ونحوه سوى أحاديثهم المستفيضة جدا في رجحان ذلك بذلوا أموالهم وأنفقوها في هذا السبيل سبيل العبادة لله تعالى فقد أعد الله المحسنين أجرا عظيما، اذن فلا ينبغي من المنار ومكاتبه — إن كان له مكاتب (١) أن يوجها لومهما على الشيعة

(١) هذه الجملة صريحة في التشكيك في عزو المنار تلك المقالة الى مكاتب، وصاحب المنار أجل بفضل الله عليه من أن يكذب حقيقة أو تقية ان كان ثم حاجة الى الكذب فكيف ولا حاجة اليه البتة ، وان كثيرا مما في تلك الرسالة لم يكن يعلمه صاحب المنار قبلا

مندفرون عديدة فان زعما أنهم استندوا الى ما ذكرناه ونحوه فما تقدم على الوفاق ، وحينئذ لا وجه لتعجبهما من علماء الشيعة ، وإن زعما أنهم احترموها ولكن ليسئلا أنفسهما عن استناد أهل السنة في احترام القبور وتشييدها بغير مستند شرعي فقد ضلا سلفهما وحاشا السلف من ذلك ، وإن زعما أنهم لم يحترموها فما وجه بنائها وتشييدها وتجديد عمارتها طول هذه المدة ، وكيف تعجبا من الشيعة ولم يتعجبا من أهل السنة وما هذا التحامل الذي لا يرتضيه كرم الاخلاق ولا أخوة دين الاسلام ، فما بال الرجل ينظر إلى الشعرة ولا شعرة ولا أقل في عين أخيه المؤمن ولا يرى الجذع المعترض في عينه ، قال الله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) وفي الحديث « إن المؤمن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه » والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

وبالختام نرجو أن يمعنوا النظر التام في ذلك والحكم بين الشيعة وبين المنار ومكاتبه فأي الفريقين أهدى سبيلا ، وأيهما أحق بالنصيحة ؟ وأيهما أولى بالمعذرة ؟ كما أنا نرجوا أن لا تنقطع سلسلة مذاكراتكم معنا في الوقوف على الحقائق واستطلاع آراء الطرفين

واقبلوا احترامنا لكم والحمد لله أولاً وآخراً

حرره سيد مهدي الكاظمي القزويني في ٢٢ شعبان سنة ١٣٤٥

(المنار) أنا تعجلنا بتعليق بعض الحواشي الوجيزة على هذه الرسالة قبل نشر الرد عليها من علماء السنة لئلا يقرأها في المنار أحد من غير المشتركين فيعلق بذهنه بعض مغالطاتها ثم لا يتفق له قراءة الرد عليها ، وقد علم منها أن أئمة آل البيت كسائر فقهاء السلف الصالح لا يبيحون هذه البدع التي لعن النبي (ص) فاعليها وإنما يتبع خلف الشيعة هذه الآراء الواهية التي ذكرها ، فالمهم هنا من كون مكان الرجل الصالح أفضل من غيره فتكون العبادة عنده أفضل !! وهو رأي يصادم نص الرسول (ص)

قرار النيابة العامة

في قضية الدكتور طه حسين

وصلت الينا نسخة من هذا القرار فاذا هو يؤيد ما كتبه الكاتبون من علماء الشرع ومن علماء القوانين ومن سائر طبقات العارفين من اثبات جهل طه حسين فيما كتبه وطعنه في الدين الاسلامي وتكذيبه للقرآن و تقليده في ذلك لبعض دعاة النصرانية ، وانا ننقل منه ما سبقتنا الى تلخيصه جريدة الاخبار الغراء الثقة باقات:

أصدر حضرة صاحب العزة محمد بك نور رئيس نيابة مصر قرارا أمس بناء عن البلاغات التي قدمت ضد الدكتور طه حسين لتأليفه كتابا أسماه الشعر الجاهلي

ووقع هذا القرار في ست عشرة صفحة من القطع الكبير وقد تناول في مقدمته الاشارة الى أسماء الاشخاص المبلغين وهم الشيخ خليل حسنين الطالب بالقسم العالي بالازهر وفضيلة شيخ الجامع الازهر وحضرة عبدالحميد افندي البنان عضو مجلس النواب

ثم أتى القرار على التهمة التي وجهها المبلغون الى الدكتور وهي أنه طعن في الدين الاسلامي في مواضع أربعة من كتابه

(الاول) أن المؤلف أهان الدين الاسلامي بتكذيب القرآن في أخباره عن ابراهيم واسماعيل

(الثاني) ما تعرض له المؤلف في شأن القراءات السبع المجمع عليها

(الثالث) ينسبون للمؤلف أنه طعن في كتابه على النبي ﷺ طعنا فاحشا من حيث نسبه

(الرابعة) أنكر المؤلف أن للاسلام أولية في بلاد العرب وانه دين ابراهيم

عن الامر الاول

تناول القرار الكلام عن الامر الاول باستفاضة واستعرض أقوال الدكتور طه في الشعر الجاهلي ولغة العرب وعاب طريقة المؤلف في الاستدلال والاستنتاج ثم انتقل الى تعرضه لابراهيم واسماعيل فقال :

ان الذي نريد أن نشير اليه انما هو الخطأ الذي اعتاد أن يرتكبه المؤلف في في ابحاثه حيث يبدأ بافتراض يتخيله ، ثم ينتهي بأن يرتب عليه قواعد كأنها حقائق ثابتة كما فعل في أمر الاختلافات بين لغة حمير وبين لغة عدنان ، ثم في مسألة ابراهيم واسماعيل وهجرتهما الى مكة وبناء الكعبة إذ بدأ فيها باظهار الشك ثم انتهى باليقين [1] بدأ بقوله « فللتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لايكفي لاثبات وجودهما التاريخي فضلا عن اثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة اسماعيل بن ابراهيم الى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها » الى هنا أظهر الشك لعدم قيام الدليل التاريخي في نظره كما تتطلبه الطرق الحديثة ، ثم انتهى بأن قرر في كثير من الصراحة قوله « أمر هذه القصة اذن واضح فهي حديثة العهد ظهرت قبيل الاسلام واستغلها الاسلام لسبب ديني » الخ فما هو الدليل الذي انتقل به من الشك الى اليقين

هل دليله هو قوله « ونحن مضطرون الى أن نرى في هذه القصة نوعا من الحيلة في اثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الاسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى ، وان أقدم عصر يمكن أن تكون قد نشأت فيه هذه الفكرة إنما هو هذا العصر الذي أخذ اليهود يستوطنون فيه شمال البلاد العربية ويبثون فيه المستعمرات » الخ وان ظهور الاسلام وما كان من الخصومة العنيفة بينه وبين وثنية العرب من غير أهل الكتاب قد اقتضى أن تثبت الصلة بين الدين الجديد وبين ديانتي النصارى واليهود ، وانه مع ثبوت الصلة الدينية يحسن أن تؤيدها صلة مادية الخ .

إذا كان الاستاذ المؤلف يرى أن ظهور الاسلام قد اقتضى أن تثبت الصلة بينه وبين ديانة اليهود والنصارى ، وأن القرابة المادية الملفقة بين العرب واليهود لازمة لاثبات الصلة بين الاسلام وبين اليهودية فاستغلها لهذا الغرض فهل له أن يبين السبب في عدم اهتمامه أيضا بمثل هذه الحيلة لتوثيق الصلة بين الاسلام وبين النصرانية — وهل عدم اهتمامه هذا معناه عجزه أو استهانته بأمر النصرانية ؟ وهل

[1] أي بالجزم

من يريد توثيق الصلة مع اليهود بأي ثمن حتى باستغلال التلفيق هو الذي يقول عنهم في القرآن (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا)

ان الاستاذ ليعجز حقا عن تقديم هذا البيان اذ أن كل ما ذكره في هذه المسألة انما هو خيال في خيال ، وكل ما استند عليه من الأدلة هو : (١) فليس يبعد أن يكون (٢) فما الذي يمنع (٣) ونحن نعتقد (٤) واذن فليس يمنع قريشا من أن تقبل هذه الاسطورة (٥) واذن فنستطيع أن نقول : —

فالاستاذ المؤلف في بحثه اذا رأى انكار شيء يقول لادليل عليه من الادلة التي تطلبها الطرق الحديثة للبحث حسب الخطة التي رسمها في منهج البحث، واذا رأى تقرير أمر لايدل عليه بغير الادلة التي أحصيناها له وكفى بقوله حجة !

سئل الاستاذ في التحقيق عن أصل هذه المسألة (أي تلفيق القصة) وهل هي من استنتاجه أو نقلها فقال : هذا فرض فرضته أنا دون أن أطلع عليه في كتاب آخر ، وقد أخبرت بعد أن نشرت الكتاب أن شيئا من هذا الفرض يوجد في بعض كتب المبشرين [illegible] على أنه سواء كان هذا الفرض من تخيله كما يقول أو من نقله عن ذلك المبشر الذي يستتر تحت اسم هاشم العربي فانه كلام لايستند الى دليل ولا قيمة له . على أننا نلاحظ أن ذلك المبشر مع ماهو ظاهر من مقاله من غرض الطعن على الاسلام كان في عبارته ألطف من مؤلف كتاب الشعر الجاهلي لانه لم يتعرض للشك في وجود ابراهيم واسماعيل بالذات ، وانما اكتفى بأن أنكر أن اسماعيل أبو العرب وقال: إن حقيقة الامر في قصة اسماعيل أنها دسيسة لفقها قدماء اليهود للعرب تزلفا اليهم الخ

كما نلاحظ أيضاً أن ذلك المبشر قد يكون له عذره في سلوك هذا السبيل لان وظيفة التبشير لدينه غرضه الذي يتكلم فيه ؛ ولكن ماعذر الاستاذ المؤلف في طرق هذا الباب وماهي الضرورة التي ألجأته الى أن يرى في هذه القصة نوعا من الحيلة الخ .

وان كان المتسامح يرى له بعض العذر في التشكك الذي أظهره أولا اعتمادا على عدم وجود الدليل التاريخي كما يقول فما الذي دعاه الى أن يقول في النهاية

بعبارة تفيد الجزم: «أمر هذه القصة اذن واضح فهي حديثة العهد ظهرت قبيل الاسلام واستغلها الاسلام لسبب ديني الخ » مع ادعائه في التحقيق أن المسألة فرض افترضه

يقول الاستاذ : « انه ان صح افتراضه فان القصة كانت شائعة بين العرب قبل الاسلام فلما جاء الاسلام استغلها وليس ما يمنع أن يتخذها الله في القرآن وسيلة لاقامة الحجة على خصوم المسلمين كما اتخذ غيرها من القصص التي كانت معروفة وسيلة الى الاحتجاج أو الى الهداية » وهاشم العربي يقول في مثل هذا : ولما ظهر محمد رأى المصلحة في اقرارها فأقرها وقال للعرب انه انما يدعو الى ملة جدهم هذا الذي يعظمونه من غير أن يعرفوه. فسبحان من أوجد هذا التوافق بين الخواطر (!!)

ان الاستاذ المؤلف أخطأ فيما كتب وأخطأ أيضاً في تفسير ما كتب وهو في هذه النقطة قد تعرض بغير شك لنصوص القرآن ولتفسير نصوص القرآن وليس في وسعه الهرب بادعائه البحث العلمي منفصلاً عن الدين فليفسر لنا اذن قوله تعالى في سورة النساء (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان)

وقوله في سورة مريم (واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا * واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) وفي سورة آل عمران (قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى و النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)

وغير ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة التي ورد فيها ذكر ابراهيم واسماعيل لا على سبيل الامثال كما يدعي حضرته . وهل عقل الاستاذ يسلم بأن الله سبحانه وتعالى يذكر في كتابه أن ابراهيم وأن اسماعيل رسول نبي مع أن القصة ملفقة ؟ وماذا يقول حضرته في موسى وعيسى وقد ذكرهما الله سبحانه وتعالى في الآية الاخيرة مع ابراهيم واسماعيل وقال في حقهم جميعاً (لا نفرق بين أحد منهم)؟

الحق أن المؤلف في هذه المسألة يتخبط تخبط الطائش، ويكاد يعترف بخطئه

لان جوابه يشعر بهذا عند ما أتاه في التحقيق عن السبب الذي دعاه أخيراً لان يقرر بطريقة تفيد الجزم بأن القصة حديثة العهد ظهرت قبيل الاسلام فقال ص ٣٨ من محضر التحقيق : هذه العبارة إذا كانت تفيد الجزم فهي أنا تفيده ان صح الفرض الذي قامت عليه وربما كان فيها شيء من الغلو ولكني أعتقد أن العلماء جميعاً عند ما يفترضون فروضاً علمية يبيحون لأنفسهم مثل هذا النحو من التعبير فالواقع أنهم مقتنعون فيما بينهم وبين أنفسهم بأن فروضهم راجحة

والذي نراه نحن ان موقف الاستاذ المؤلف هذا لا يختلف عن موقف الاستاذ هوار حين يتكلم عن شعر أمية بن أبي الصلت وقد وصف المؤلف نفسه هذا المؤلف في ص ٨٢ و٨٣ من كتابه بقوله

« مع اني من أشد الناس إعجابا بالاستاذ هوار وبطائفة من أصحابه المستشرقين وبما ينتهون اليه في كثير من الأحيان من النتائج العلمية القيمة في تاريخ الادب العربي وبالمناهج التي [illegible] لا أستطيع أن أقرأ هذا الفصل دون أن أعجب كيف يتورط العلماء [illegible] »

حقا ان الاستاذ المؤلف قد تورط في هذا الموقف الذي لا صلة بينه وبين العلم لغير ضرورة يقتضيها بحثه ولا فائدة يرجوها لان النتيجة التي وصل اليها من بحثه وهي قوله « ان الصلة بين اللغة العدنانية وبين اللغة القحطانية كالصلة بين اللغة العربية وأي لغة أخرى من اللغات السامية المعروفة وان قصة العاربة والمستعربة وتعلم اسماعيل العربية من جرهم كل ذلك حديث أساطير لا خطر له ولا غناء فيه » ما كانت تستدعي التشكك في صحة أخبار القرآن عن ابراهيم واسماعيل وبنائهما الكعبة ثم الحكم بعدم صحة القصة وباستغلال الاسلام لها لسبب ديني ونحن لا نفهم كيف أباح المؤلف لنفسه أن يخلط بين الدين وبين العلم وهو القائل بأن الدين يجب أن يكون بمعزل عن هذا النوع من البحث الذي هو بطبيعته قابل للتغيير والنقض والشك والانكار (ص ٢٢ من محضر التحقيق) وانا حين نفصل بين العلم والدين نضع الكتب السماوية موضع التقديس ونعصمها من انكار المنكرين وطعن الطاعنين (ص ٢٤ من محضر التحقيق) ولا ندري لم يعمل غير ما يقول في هذا

الموضوع ? لقد سئل في التحقيق عن هذا فقال : ان الداعي الى أناقش طائفة من العلماء والادباء والقدماء والمحدثين وكلهم يقررون أن العرب المستعربة قد أخذوا لغتهم عن العرب العاربة بواسطة أبيهم أسماعيل بعد أن هاجره وهم جميعا يستدلون على آرائهم بنصوص من القرآن ومن الحديث فليس لي بد من أن أقول لهم ان هذه النصوص لاتلزمني من الوجهة العلمية

أما الثابت في نصوص القرآن فقصة الهجرة وقصة بناء الكعبة وليس في القرآن نصوص يستدل بها على تقسيم العرب إلى عاربة ومستعربة ولا على أن اسماعيل أبو العرب العدنانيين ولا على تعلم اسماعيل العربية من جرهم . ونص الآية التي تثبت الهجرة (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) لايفيد غير إسكان ذرية ابراهيم في وادي مكة أي ان إسماعيل هوجر به صغيراً (كنص الحديث) الى هذا الوادي فنشأ فيه بين أهله وهم من العرب وتعلم هو وأبناؤه لغتهم [illegible] فإن اللغة لا تولد مع الانسان وإنما تكتسب [illegible] ، وهذا الاندماج لايترتب عليه أن يكون جميع العرب العدنانيين من ذريته إذ الحكم بهذا يقتضي أن لا يكون مع اسماعيل أحد منهم حتى لايوجد غير ذريته وهو مالم يقل به أحد ـ

وياليت الاستاذ المؤلف حذا حذو ذلك المبشر هاشم العربي في هذه المسألة حيث قال « ولا اسماعيل نفسه بأب العرب المستعربة ولا تملك أحد من بنيه على أمة من الامم وإنما قصارى أمرهم أنهم دخلوا وهم عدد قليل في قبائل العرب العديدة المجاورة لمنازلهم فاختلطوا بها وما كانوا إلا كحصاة في فلاة » (تراجع صحيفة ٣٥٦ من كتاب مقالة في الاسلام) ـ ولو أن المؤلف نقل هذا لنجا من التورط في هذا الموضوع . وأما مسألة بناء الكعبة فلم نفهم الحكمة في نفيها واعتبارها أسطورة من الاساطير اللهم إلا إذا كان مراده إزالة كل أثر لابراهيم واسماعيل ولكن مامصلحة المؤلف في هذا ؟ الله أعلم بمراده [1]

[1] المنار : الذي فهمه الناس من كلامه أن مراده الطعن في الاسلام وصد الناس عنه

عن الأمر الثاني

تناول القرار الامر الثاني الخاص بالقراآت وبعد تحليله قال « ونحن نرى ان ماذكره المؤلف في هذه المسألة هو بحث علمي لا تعارض بينه وبين الدين ولا اعتراض لنا عليه »

عن الامر الثالث

تناول القرار مسألة نسب النبي ﷺ وبعد أن حللها قال « ونحن لا نرى اعتراضاً على بحثه على هذا النحو من حيث هو وإنما كل مانلاحظه عليه أنه تكلم فيما يختص بأسرة النبي ﷺ ونسبه في قريش بعبارة خالية من كل احترام بل بشكل تهكمي غير لائق ولا يوجد في بحث مايدعوه لايراد العبارة على هذا النحو »

الامر الرابع

تناول القرار الامر الرابع [illegible] قال « ونحن لا نرى اعتراضا على أن يكون مراده بما كتب في هذه المسألة هو ما ذكره [illegible] أنه كان سيء التعبير جداً في بعض عباراته كقوله : ولم يكن أحد قد احتكر ملة ابراهيم ولا زعم لنفسه الانفراد بتأويلها . لقد أخذ المسلمون يردون دين الاسلام في خلاصته إلى دين ابراهيم هذا الذي هو أقدم وأنقى من دين اليهود والنصارى . وكقوله : وشاعت في العرب أثناء ظهور الاسلام وبعده فكرة ان الاسلام يجدد دين ابراهيم ومن هنا أخذوا يعتقدون أن دين ابراهيم هذا قد كان دين العرب في عصر من العصور ... لان في إيراد عباراته على هذا النحو مايشعر بأنه يقصد شيئاً آخر بجانب هذا المراد خصوصا اذا قرنا بين هذه العبارات وبين ماسبق له أن ذكره بشأن تشككه في وجود ابراهيم وما يتعلق به »

عن القانون

نصت المادة (١٢) من الامر الملكي رقم (٤٢) لسنة ١٩٢٣ بوضع نظام دستوري للدولة المصرية على أن حرية الاعتقاد مطلقة

ونصت المادة (١٤) منه على أن حرية الرأي مكفولة ولكل انسان الاعراب عن فكره بالقول أو بالكتابة أو بالتصوير أو بغير ذلك في حدود القانون

ونصت المادة ٤٩ منه على أن الاسلام دين الدولة فلكل إنسان إذاً حرية الاعتقاد بغير قيد ولا شرط وحرية الرأي في حدود القانون فله أن يعرب عن اعتقاده وفكره بالقول أو الكتابة بشرط أن لا يتجاوز حدود القانون

وقد نصت المادة ١٣٩ من قانون العقوبات الاهلي على عقاب كل تعد يقع باحدى طرق العلانية المنصوص في المادتين ١٤٨، ١٥٠ على أحد الاديان التي تؤدى شعائرها علنا . وجريمة التعدي على الاديان المعاقب عليها بمقتضى المادة المذكورة تتكون بتوفر أربعة أركان

١ — التعدي

٢ — وقوع التعدي بأحد الطرق العلنية المبينة في المادتين ١٤٨، ١٥٠ عقوبات

٣ — وقوع التعدي على أحد الاديان التي تؤدى شعائرها علنا

٤ — القصد الجنائي

عن الركن الاول

لم يذكر القانون بشأن هذا الركن في المادة إلا لفظ (تعد) وهذا لفظ عام يمكن فهم المراد منه بالرجوع الى نص المادة باللغة الفرنسية وقد عبر القانون فيه عن التعدي outrage والقانون قد استعمل لفظ outrage هذا في المواد ١٥٥ و١٥٩ و١٦٠ عقوبات أيضا ولما ذكر معناها في النص العربي للمواد المذكورة عبر في المادة (١٥٥) بقوله (كل من انتهك حرمة) وفي المادتين ١٥٩، ١٦٠ باهانة فيتضح من هذا — أن مراده بالتعدي في المادة ١٣٩ هو كل مساس بكرامة الدين أو انتهاك حرمته أو الحط من قدره أو الازدراء به لان الاهانة تشمل كل هذه المعاني بلا شك

وحيث إنه بالرجوع الى الوقائع التي ذكرها الدكتور طه حسين والتي تكلمنا عنها تفصيلا وتطبيقها على القانون يتضح أن كلامه الذي بحثناه تحت عنوان (الامر الاول) فيه تعد على الدين الاسلامي لانه انتهك حرمة هذا الدين بأن نسب

الى الاسلام أنه استغل قصة ملفقة هي قصة هجرة اسماعيل بن ابراهيم الى مكة وبناء ابراهيم واسماعيل للكعبة . واعتبار هذه القصة أسطورة وأنها من تلفيق اليهود ، وأنها حديثة العهد ظهرت قبل الاسلام الى آخر ما ذكرناه تفصيلا عند الكلام على الوقائع وهو بكلامه هذا يرمي الدين الاسلامي بأنه مضلل في أمور هي عقائد ثابتة، وواردة في القرآن باعتبار أنها حقائق لا مرية فيها كما أن كلامه الذي بحثناه تحت عنوان (الامر الرابع) قد أورده على صورة تشعر بأنه يريد به إتمام فكرته بشأن ما ذكر — أما كلامه بشأن نسب النبي ﷺ فهو إن لم يكن فيه طعن ظاهر إلا أنه أورده بعبارة تهكمية تنم عن الحط من قدره — وأما ما ذكره بشأن القرآن مما تكلمنا عنه في الامر الثاني فانه بحث بريء من الوجهة العلمية والدينية أيضا ولا شيء فيه يدعو إلى المؤاخذة لا من الوجهة الادبية ولا من الوجهة القانونية



عن الركن الثاني

لا كلام في هذا الركن لان الطعن السابق بيانه قد وقع بطريق العلانية إذ أنه أورد في كتاب الشعر الجاهلي الذي طبع ونشر وبيع في المحلات العمومية والمؤلف معترف بهذا .

عن الركن الثالث

لا نزاع في هذا الركن أيضا لان التعدي وقع على الدين الاسلامي الذي تؤدى شعائره علنا وهو الدين الرسمي للدولة

عن الركن الرابع

هذا الركن هو الركن الادبي الذي يجب ان يتوفر في كل جريمة فيجب إذاً لمعاقبة المؤلف أن يقدم الدليل على توفر القصد الجنائي لديه ، وبعبارة أوضح يجب أن يثبت أنه إنما أراد بما كتب أن يتعدى على الدين الاسلامي فاذا لم يثبت هذا الركن فلا عقاب .

أنكر المؤلف في التحقيقات أنه يريد الطعن على الدين الاسلامي ، وقال إنه ذكر ماذكر في سبيل البحث العلمي وخدمة العلم لاغير .. غير مقيد بشيء ، وقد أشار في كتابه تفصيلا الى الطريق الذي رسمه للبحث ، ولا بد لنا هنا أن نشير الى ما قرره المؤلف في التحقيق من أنه كمسلم لا يرتاب في وجود ابراهيم واسماعيل وما يتصل بهما مما جاء في القرآن ولكنه كعالم مضطر الى أن يذعن لمناهج البحث فلا يسلم بالوجود العلمي التاريخي لابراهيم واسماعيل فهو يجرد من نفسه شخصيتين وقد وجدنا المؤلف قد شرح نظريته هذه شرحا مستفيضا في مقال نشره بجريدة السياسة الاسبوعية بالعدد نمرة ١٩ الصادر في ١٧ يوليه سنة ١٩٢٦ ص ٥ تحت عنوان (العلم والدين) وقد ذكر فيه بالنص « فكل امريء منا يستطيع ان فكر قليلا أن يجد في نفسه شخصيتين ممتازتين إحداهما عاقلة تبحث وتنقد وتحلل وتغير اليوم ماذهبت اليه أمس ، وتهدم اليوم ما بنته أمس . والاخرى شاعرة تلذ وتألم وتفرح وتحزن وترضى وتغضب وترغب وترهب في غير نقد ولا بحث ولا تحليل وكلتا الشخصيتين متصلة بمزاجنا وتكويننا لا نستطيع أن نخلص من إحداهما فما الذي يمنع أن تكون الشخصية الاولى عالمة باحثة ناقدة وأن تكون الشخصية الثانية مؤمنة مطمئنة طامحة الى المثل الاعلى

ولسنا نعترض على هذه النظرية بأكثر مما اعترض به هو على نفسه في مقاله حيث ذكر بعد ذلك: « ستقول وكيف يمكن أن نجمع المتناقضين؟ ولست أحاول جوابا لهذا السؤال وإنما أحولك على نفسك الخ ولا شك في أن عدم محاولة الاجابة على هذا الاعتراض إنما هو عجزه عن الجواب ، والمفهوم انه قد أورد هذا الاعتراض لانه يتوقعه حتى لا يوجه اليه

الحقيقة انه لا يمكن الجمع بين النقيضين في شخص واحد وفي وقت واحد بل لا بد من أن تتخلى احدى الحالتين للاخرى وقد أشار المؤلف نفسه الى هذا في نفس المقال في سياق كلامه على الخلاف بين العلم والدين حيث قال بشأنهما : « ليسا متفقين ولا سبيل الى أن يتفقا الا أن ينزل أحدهما لصاحبه عن شخصيته كلها »

أما توزيع الاختصاص الذي أجراه الدكتور بجعله العلم من اختصاص القوة العاقلة والدين من اختصاص القوة الشاعرة فلسنا ندركه ، والذي نفهمه أن العقل هو الاساس في العلم وفي الدين معاً ، واذا ما وجدنا العلم والدين يتنازعان فسبب ذلك أنه ليس لدينا القدر الكافي من كل منهما — انا نقرر هذا بناء على ما نعرفه في أنفسنا أما الدكتور فقد تكون لديه القدرة على ما يقول وليس ذلك على الله بعسير

نحن في موضع البحث عن حقيقة نية المؤلف فسواء لدينا صحت نظرية تجريد الشخصيتين عالمة ومتدينة أو لم تصح فاننا على الفرضين نرى أنه كتب ما كتب من اعتقاد تام ولما قرأنا ما كتبه بإمعان وجدناه منساقاً في كتابته بعامل قوي متسلط على نفسه ، وقد بينا حين بحثنا الوقائع كيف قاده بحثه الى ما كتب وهو وان كان قد أخطأ فيما كتب الا أن الخطأ المصحوب باعتقاد الصواب شيء وتعمد الخطأ المصحوب بنية التعدي شيء آخر

وحيث انه مع ملاحظة ان أغلب ما كتبه المؤلف مما يمس موضوع الشكوى وهو ما قصرنا بحثنا عليه انما هو عبارات وردت على سبيل البحث والافتراضات لا تستند الى دليل علمي صحيح فانه كان يجب عليه أن يكون حريصاً في جرأته على ما أقدم عليه مما يمس الدين الاسلامي الذي هو دينه ودين الدولة التي هو من رجالها المسئولين عن نوع من العمل فيها وأن يلاحظ مركزه الخاص في الوسط الذي يعمل فيه — صحيح إنه كتب ما كتب عن اعتقاد بان بحثه العلمي يقتضيه ولكنه مع هذا كان مقدراً لمركزه تماماً وهذا الشعور ظاهر من عبارات كثيرة في كتابه منها قوله : وأكاد أثق بان فريقاً منهم سيلقونه ساخطين عليه ، وبأن فريقاً آخر سيزورون عنه ازوراراً ، ولكني على سخط أولئك وازورار هؤلاء أريد أن أذيع هذا البحث

ان المؤلف فضلا لا ينكر في سلوكه طريقاً جديداً للبحث حذا فيه حذو العلماء من الغربيين ولكنه لشدة تأثر نفسه مما أخذ عنهم قد تورط في بحثه حتى تخيل حقاً ما ليس بحق ، أو ما لا يزال في حاجة الى اثبات أنه حق — انه قد سلك طريقاً مظلمة فكان يجب عليه أن يسير على مهل وان يحتاط في سيره حتى لا يضل ولكنه أقدم بغير احتياط فكانت النتيجة غير محمودة .

وحيث إنه مما تقدم يتضح أن غرض المؤلف لم يكن مجرد الطعن والتعدي على الدين بل ان العبارات الماسة بالدين التي أوردها في بعض المواضع من كتابه انما قد أوردها في سبيل البحث العلمي مع اعتقاده أن بحثه يقتضيها

« وحيث إنه من ذلك يكون القصد الجنائي غير متوفر

« فلذلك » تحفظ الاوراق اداريا رئيس نيابة مصر

القاهرة في ٣٠ مارس سنة ١٩٢٧

(المنار) قد أثبت رئيس النيابة أن الدكتور طه حسين طعن في الدين الاسلامي وكذب القرآن بما سبقه اليه بعض دعاة النصرانية فكان هذا في طعنه أقرب منه إلى الادب — وأثبت أن مطاعنه التي شكا منها المسلمون وطلب بعض رجال الدين ورجال النيابة البرلمانية محاكمته عليها لم تستند إلى دليل علمي صحيح وإنما هي تخيلات وافتراضات باطلة وهو قد أثبت بما ذكر ارتداده عن الاسلام، وأنه كان مقدراً نتيجة [illegible] بغير مبالاة — ثم أن الرئيس مع هذا قطع على أن الدكتور طه حسين [illegible] وأنه يقتضيه البحث العلمي ولم يقصد به مجرد الطعن والتعدي — وأنه لهذا لم يجد وجها قانونيا لمحاكمته فأمر بحفظ الاوراق الخاصة بقضيته إداريا

وقد رأينا الناس متعجبين من هذه النتيجة ومخالفين لرئيس النيابة في استنتاجه، على إعجابهم بدقة فهمه وحسن تفنيده لتلك المطاعن. وقد سبق لي أن بينت في المنار ما فهمته من غرض الدكتور طه حسين وهو تشكيك طلبة الجامعة المصرية وسائر من يقرأ كتابه في الدين الاسلامي بل افساد اعتقادهم وتجرئتهم على الكفر، لانه ليس من الغباوة والبلادة بحيث يعتقد أن تلك « التخيلات والافتراضات » أدلة علمية على حقية طعنه فهو لا يعتقد أن ما كتبه حق إلا من حيث انه لا يؤمن بأن كتاب الله هو الحق الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »

ثم أقول إذا كان من يطعن في دين الدولة والامة طعنا صريحا لا يستند الى دليل ولكنه هو يعتقده — يباح له ذلك قانونا ولا يحاكم ولا يعاقب فكيف يعقل

أن يكون الطعن في الدين ممنوعا ومن الضروري أنه لا يطعن فيه إلا من يعتقد بطلانه من ملحد أو متدين بدين آخر؟ ألا إن هذا القرار يجرأ كل كافر بالاسلام على الطعن فيه ، وهل يطعن فيه الا كافر به ؟

هذا وان الدكتور طه قد استقال من التعليم في الجامعة عقب صدور هـذا القرار لما فيه من الاهانة له واثبات جهله فبادر مدير الجامعة احمد لطفي بك السيد الى تلافي الامر وحمل وزير المعارف على أن لايقبل استقالته ففعل ، فعلم بهـذا من لم يكن يعلم رأي كل من مدير الجامعة ووزير المعارف في الدكتور طه حسين وقد طبع كتابه ثانية بعد حذف ما انكر المسلمون منه وهو باق في الجامعة فمن شاء فليرض ومن شاء فليغضب (ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

مايسمى النهضة النسائية بمصر

وعدنا بأن [illegible] الذي يسميه دعاة الالحاد والاباحة [illegible] حتى صار العقلاء من أهل الدين والصيانة يخشون ان يفضي في اقرب وقت الى هدم بناء الاسر والعشائر (العائلات) التي تتألف منها وحدة الشعب المصري وذهاب ما بقي من مقوماته القومية والملية وذهاب الثروة والصحة في اثرها ، وقد كنت [illegible] فرصة فراغ ابين فيها هذه الحقائق بعبارة لاتهيج علي زنابير السفهاء حماة هذا التجديد حتى رأيت المقالة الرابعة من سلسلة مقالات تنشرها في جريدة السياسة نفسها امرأة أوربية فاضلة اهتدت الى الاسلام ، فاذا هي قد وصفت المرأة المصرية بعد الاختبار وصفا لم يكر أحد عليها شيئا منه لعلمه واعتداله فرأيت أن أنشره بنصه وهو:

المرأة المصرية

أتيت في مقالي السابق على ما كان للمرأة المسلمة من الشأن وتنقلت بها في جميع الادوار التي مرت بالاسلام منذ بدئه الى هذا العهد . الا أن لي كلمتين أقولها عن المرأة المصرية في هذا العصر . وأختم كلامي عن المرأة

ولكي أقوم بهذا التحليل الذي أرجو أن يكون من ورائه فائدة لكل أخت

مصرية مسلمة . أرجو أن يقابل كلامي بشيء من روح التسامح . وأن ينظر إليه نظرة ودية اصلاحية ، لا انتقادية عدائية

فلتعذرني اذن القارئة اذا كنت أجرؤ على القول بأني لم أجد في المرأة المصرية في مصر ما أستطيع أن أشيد بذكره ، أو أتغنى بمحاسنه • فكم كنت أتمنى أن أراها آخذة في دور الرقي الحقيقي والحضارة الصحيحة المؤسسة على روح الدين وحب الفضائل والآداب الاسلامية التي لم أجد فيها ما يحول دون التقدم المنشود والتمشي مع التطور الاجتماعي كما أقت الدليل على ذلك فيما أسلفت من مقال

وقبل أن أبدأ في شرح وجوه النقص في التربية الاخلاقية الحاضرة ، أرى أن أقسم المرأة في مصر إلى ثلاث طبقات ، أتكلم عن كل طبقة بما استطعت أن أراه وأشهده ، فان رأى القارئ مني خطأ فليتكرم بتصحيحه أو شططا فليعذرني وينبهني

(طبقة العامة) أستطيع أن أقول بوجه عام أن هذه الطبقة من النساء لم تمتد إلى رءوسهن بعد يد العلم والتهذيب [illegible] من الفنون العادية أو الجميلة . وقليل منهن من تفهم [illegible] من معاني الرابطة الزوجية أو التربية العالية يخيم على ربوع تلك الفئة [illegible] دون العلا . كما أنهن بعيدات كل البعد عن معرفة أمور دينهن حتى أكثرها بساطة وسهولة ! ! وتكاد نساء هذه الطبقة لا يفهمن من العيش أكثر من التمتع باللذتين على نحو ما تعيش العجماوات في الغابات !

وما كانت كذلك البدوية الساذجة . فقد كان من يؤمن من تقرض الشعر وتستظهر القرآن أو بعضا منه ولو كانت أمية ، وكن على تمام التمسك بالدين وآدابه وتأدية فرائضه

وما هكذا نساء هذه الطبقة في أوربا فجلهن ان لم أقل كلهن يعلمن القراءة والكتابة ومبادىء الحساب والتاريخ والجغرافيا وغيرها . حتى لتراهن يزاحمن الرجال في ميادين الخدمة والاعمال الكتابية البسيطة

فاين أختنا المصرية في هذه الطبقة من زميلتيها العربية والاوربية !

(الطبقة المتوسطة) أخذ أكثر فتيات هذه الطبقة بقسط من الثقافة والتهذيب

وكثيرات منهن الآن يعرفن القليل من الموسيقى وغيرها من الفنون الجميلة. وأرى ان هذا القدر من التعليم يكفي لان يجعل من الفتاة زوجة تعرف كيف ترضي بعلها . وأما صالحة لتربية طفلها . وأغلب نساء هذه الطبقة يفهمن آداب المجالس واختيار الاحاديث . وإن كان لا يزال من بينهن من قد يحملك مجلسها على الملل في بعض الاحيان خصوصا إذا كانت من عشاق (الموضة) والازياء !

وفتاة هذه الطبقة لا تخلو من العلم بالمبادئ الدينية . وإن كانت الاغلبية قد انصرفت عنها وأخذت في التهاون والتفريط ! . . .

إني لاقنع من المرأة الشرقية بهذا النصيب من الثقافة وان تفوقت عليها الغربية في هذا المضمار . وأرى أن السلفة في القرون الاولى لم تكن تفوق فتاة هذه الطبقة علماً وتهذيباً وان سبقتها إلى الفضيلة والدين

(الطبقة الراقية) يجب أن أكون شجاعة الى حد ما حتى استطيع أن أخاطب صراحة نساء هذه الطبقة

لا أنكر على الفتاة الراقية ما أحرزته من العلم والتهذيب، ولا كيف تستطيع أن تنقل أناملها الراقية فوق (بلابل) البيانو . وأوتار العود !.. ولا يستطيع بصري أن يأخذ به بريق لآلئها البحرية، التي تخشع أمام در ثناياها اللؤلؤية . ولا يمكنني أن انكر عليها رشاقتها وخفة حركاتها . ولا رطانتها بالفرنسية والطليانية كأنها إحدى بنات روما والسين . ولا أقوى على مباراتها في تموجاتها فوق مراقص (هليوبليس) و(جروبي) على نغمات (التانجو والشارلستون) ! .

كل ذلك ياسيدتي العظيمة لاقبل لي على إنكاره والمكابرة فيه . فأنت قد أصبحت أوربية . أوربية قلبا وقالبا . عادة ولسانا . رشاقة وفتنة . ولكن اسمحي لي كلمة أن أسألك بالله ونبيه محمد : أين الى جانبك هذا كله .. التمسك بالدين وتعاليمه !..

قد انتهيت من التقسيم ولكن بقي لي كلمة اجمالية أقولها بصراحة . وأرجو أن أرى لي بعدها مشجعات لا ناقمات

ها أنا (ذا) قد استعرضت أمامك ياسيدتي المصرية صورتك في طبقاتك الثلاث .

لم أر الدين ولا لآدابه في أخلاقكن أثراً ، وكأنه الكابوس على النفوس ، وكأني بكن تتمثلنه شبحاً مخيفاً مزعجاً يريد أن يهوي بكن الى الظلمات . أو يرجع بكن الى عهد البرابرة والوحوش ..

وإلا فأين تلك المرأة التي كانت لا تخرج من خدرها الا نادراً ، ولا تزور غيرها الا غباً ، وان برزت في الاسواق فعلى صورة وفي زي يخشع له نظر الفاجر ، ويرق له قلب العابد ، ويكبره ويجله شباب الرجال قبل شيبهم ؟ ؟

أين ذلك العصر الذي كانت فيه المساجد عامرة زاخرة بالمصليات الخاشعات في مقاصير أفردت لهن خاصة في بيوت الله ؟

أين تلك المرأة التي كانت إذا جلست من الرجل مجلساً ملأت قلبه خشوعاً وإجلالا ، وألقت عليه بنظراتها الطاهرة البريئة دروساً بالغة في العفة

يغض غرار ما هممن بريبة كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام زوانيا ويصدهن عن الخنا الاسلام

دالت دولة تلك المرأة المتعففة القانتة ، وأصبحت لا ترى في الاسواق إلا كل بارزة النهدين ، مزججة الحاجبين ، مكحولة العينين ، دامية الشفتين ، عارية السواعد والسيقان ، مائلة في مشيتها ، مداعبة في نظرتها ، متراخية متكاسلة ، حركتها تطمع ، ونظراتها توقع . ثم دعك قليلا من الطريق ، وادخل معي دكانا من الدكاكين « الكبيرة » وانظر هل ترى الا بحراً زاخراً من الاجسام النسائية ، وسواعد ونهودا وصدورا عارية ، وضحكات كأنها نغمات الموسيقى أو أحلى ، تستوي في ذلك كله الثلاث الطبقات .

وأسمع أن هناك جمعيات نسائية ، غير أني لم أر مع الاسف أثرا جديا في سبيل نهضة المرأة المصرية والرجوع بها الى حظيرة الفضيلة والدين ، وصونها عن التبذل والخلاعة . وإلا فمن من الرجال لا يشكو اليوم اسراف زوجه وبناته في الملبس والمسكن واقتناء الحشم ، ومن منهم لا يشكو كثرة الخروج والزيارات ، وانفاق الاموال في الملاهي والسياحات ؟ .

وأين الفتاة أو والد الفتاة اللذان لا يشكوان إعراض الشبان عن الزواج

ورغبتهم عن البنات ؟ وأين الكتاب والادباء والشعراء الذين يحضون بكتاباتهم وخيالهم واشعارهم على حب الفضيلة والعفة والتمسك بآداب الدين ؟ ثم اين المجتمع والخطباء الذين يبينون مواضع الضعف الاخلاقي وعلاجه ، ويرشدون الى مواطن الفضيلة والشرف ؟

اني لأرى الغرب يكتسح بمدنيته الخداعة كل ما بقي في هذه الديار من آثار التقى وآداب القرآن ، وأرى النفوس تستعذب هذا الطريق وتستمرئه وتصبو الى المزيد منه والتمادي فيه :

لم لا تتعلم المصرية من الغربية حب الاقتصاد والتدبير في المنزل ، ونظافة الداخل ، وتربية الاطفال ؟ لم تقلدها في القبيح ، وتقف جامدة أمام الحسن المليح ؟

لم لم تنقل عنها خروجها يوم الاعياد والآحاد الى المعابد والهياكل أصلي وتذكر ربها قبل أن تنصرف الى أماكن اللهو والنزهة

وما لنا لا نتخذ ؟ — إن كنا قد شغفنا بتقليد الغربيين الى هذا الحد — أناشيد دينية وأشعارًا أخلاقية [illegible] (البيانو) السخيفة المبتذلة تثير في القلوب نشوة الطرب [illegible] وتزجر عن التمادي في التبذل والغواية ؟ .

ثم مالنا لا نعمر بيوت الله بذوي الاصوات الشجية يرتلون مثل تلك الاناشيد الدينية والاخلاقية على مسامع الشبان والفتيات — قبل أو بعد الصلاة[1] — وليس فينا من يجهل تأثير النغمات على النفوس ، ولعب الصوت الحسن بالقلوب والعقول ، فتنمو فينا بذلك روح الطهر وتزكو النفس ، وتتهذب الاخلاق ، وتسمو بالرجل والمرأة الى أعلى مراتب الفضيلة !

سيدتي : الاخلاق الاخلاق ، الفضيلة ، العفة ، كل أولئك لا تجدينه الا في دينك ، ولا يمكن أن ترى المرأة منزلة عالية في القلوب قبل المكانة التي تنشدينها في المجتمع الا بعد أن تفهمي ما انطوى عليه دينك من حكمة عالية ، وآداب سامية .

سيدتي ، اعملي على تقويم الاخلاق ، وأحيي الدين والشريعة ، وحضي على

(١) الصواب في مثل هذا التعبير أن يقال قبل الصلاة او بعدها

التمسك بهما ، ثم دعي بعد ذلك المرأة تخرج سافرة أو مقنعة ، تخالط الرجال وتمشي في الأسواق ، فلن تقع عينك الا على كل فاضلة عفيفة ، ثم انظري هل ترين رجلا يبغي الزواج من اثنتين ، أو شابا راقيا يفضل عيش العزوبة على الزواج من فتاة طاهرة نقية ، أو حياة زوجية لا تسودها السعادة ولا الهناء ، ثم انظري وانظري !..

الا انما المرأة كشجرة ، فاسقوها ماء الفضيلة وغذوها ببذور العفة ، واجتثوا منها وهي ناشئة جراثيم التبذل والرذيلة وأنموها على التقوى ومبادىء الدين ، فالمرأة ان سمت . كانت مخلوقا سماويا يوحي الى الرجل كل عزيمة ، ويبث في قلبه روح التضحية وغيرة الرجولة وعبقرية العظماء

فان احبت ولست أجل مافي الحب من سر قدسي فهو عذري طاهر كحب ليلى وقيس ، وحب معنى لا [illegible] ، وهيام بروح طاهرة الى روح طاهرة تماثلها وتكمل مافيها من نقص، لاحب بهيمي ارضاء لغريزة الحيوان

فان تزوجت [illegible] تخلص روجها [illegible] وان أنجبت فبأمثال عمر وعلي ، وان جلست من الرجال مجلسا [illegible]

وان عملت فعلى طراز خالدة أديب التي قدم لها رجال تركيا كرسي وزارة المعارف اعترافا منهم لها بفضلها ويدها على النهضة التركية

لا أريد لمصر أمرأة كالتي قيل فيها إنها أحبولة الشيطان أو واحدة من آلات من تجارة ابليس .

إنما أريد المرأة الطاهرة السماوية التي يخشع أمامها قلب الرجل كأنه يرى فيها صورة الرحمن !..

وإنما الامم الاخلاق ما بقيت * فان هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

«دام رئيفة كامل

(المنار) لا يوجد في أوربة كلها شعب أجهل التربية الدينية للاناث كأهل مصر شعبا وحكومة وهي مع ذلك تبيح حرية الكفر والفسق كالرقص والسباحة مع الرجال والزنا في بعض الأحوال ، فكيف يكون المآل ؟

الشيخ احمد عباس الازهري البيروتي

وفاته وترجمته

في يوم الثلاثاء لتسع خلون من شهر شوال هذا العام توفي الاستاذ العالم العامل الشيخ احمد عباس الازهري في مدينة بيروت مسقط رأسه وموطن عمله ودفن في مقبرة الباشورة باحتفال كبير يليق بمقامه. وقد كتبت خبر وفاته مع الوعد بترجمته لينشر في الجزء الماضي ولم أعلم بأنه لم ينشر لكثرة مواد الجزء الا بعد صدوره

كان الاستاذ صديقا لي وكان لي معه مجالس اصلاحية خاصة في زياراتي الاخيرة لبيروت ولكنه لم يكن يعلم فيما أظن أنني أفضله على جميع علماء بلادنا في مجموعة معارفه — لا في كل نوع منها ولا في علم أو فن خاص امتاز به — وفي اقدامه وسعيه لنشر علوم الدين والدنيا وفي وطنيته وقوميته.

لا أعرف أحداً من علماء سورية يصدق عليه أنه أمة وحده وأهله — كما قال بعض السلف في وصف العلماء أو الفقهاء وكان عبرة بهم أمر أمته ووطنه ويحب لهم أن يسابقوا غيرهم في العلم والعمل — الا استاذي الشيخ حسين الجسر فصديقي الشيخ احمد عباس رحمهما الله تعالى وكان الشيخ حسين أوسع من الشيخ احمد علما ولكن الشيخ احمد كان أنشط منه في العمل والسعي. سعى الاول لانشاء مدرسة وطنية في طرابلس تجمع بين العلوم الدينية والفنون العصرية وبعض اللغات الاجنبية التي تقتضيها ترقية التجارة والعلم ثم سعى لأن تعترف الحكومة العثمانية بأنها مدرسة دينية يعفى طلابها من الخدمة العسكرية فلما لم تقبل الحكومة سقطت المدرسة وقضى الاستاذ بقية عمره في تدريس فنون العربية والعلوم الدينية على الطريقة الازهرية التقليدية مع نوع من سهولة الالقاء والتنبيه الفكري ولو تيسر له النهوض بادارة المدرسة الوطنية لأحدث انقلابا كبيرا في سورية

وأما الشيخ احمد عباس فمازال يجاهد في هذه السبيل الى أن قضى نحبه كما ترى في ترجمته، وهو لم يلق من أغنياء سورية ولا بيروت ولا من وجهائها ماكان يجب عليهم من مساعدته ولو ساعدوه لامكن أن يستغنوا بسعيه عن مدارس الاجانب

جاهد الشيخ احمد عباس في سبيل نشر العلم بالتعليم نصف قرن وقد احتفل بعيده الذهبي في بيروت احتفالا حسنا لم يتح لنا الاشتراك فيه ، وقد ألقى صديقنا الاستاذ عبد الباسط فتح الله خطابا في ذلك الاحتفال أودعه تاريخ الاستاذ المحتفل به وهو أجدر الناس بذلك علما واطلاعا وحسن بيان، فنحن ننشر هذا التاريخ بنصه في المنار مع تغيير ألفاظ قليلة جدا اقتضاها الفرق بين الكلام عن رجل في حياته ثم بعد وفاته وهو :

(مولد الاستاذ ومنشأه)

كان مما تركته الحملة المصرية التي اكتسحت الديار الشامية سنة ١٢٤٥ هـ بقية صالحة تأصلت في ثغر بيروت فنشأ منها فرع ازهر وأثمر وانتظر البلاد خيره :

العباس بن سليمان من جند ابراهيم باشا بن محمد علي الخديوي تزوج ببيروتية من بني الشامي فرزق منها عدة أولاد منهم (احمد) الذي اتى حلة الوجود عام سنة ١٢٧٠ هـ [illegible] والده فقير ، فلما بلغ الخامسة من عمره اسلمه الى الكتاب [illegible] على الشيوخ الحفاظ المجودين ، واستظهر منه بضعة اجزاء وفي السنة العاشرة دخل المدرسة الرشدية التي أنشأها المرحوم الشيخ حسن البنا حبال سنة ١٢٨٠ وهي أول مدرسة اسلامية عصرية سماها صاحبها بالرشدية قبل أن تنشيء الدولة مدارسها المعروفة بهذا الاسم نسبة الى راشد باشا والي سورية لذلك العهد . فتعلم الخط والحساب وكان من شيوخه فيها علامة الفقه والادب المرحوم الشيخ ابراهيم الأحدب ،

الى ذلك الزمن ظل العلم عزيزا والعلماء نادري الوجود والناس ولاسيا المسلمون في هجعة قطعت صلتهم بالماضي ، وتراكمت على فكرهم سحب من الجهل حجبتها عن التطلع الى المستقبل ، فظلوا في فترة من العلم حتى نبغ الاستاذان الفاضلان الكبيران الشيخ محمد الحوت والشيخ عبد الله خالد قدس الله روحيهما ، فصاحا بالقوم صيحة أيقظتهم من سباتهم ، وزجرتهم عن مضاجع غفلتهم ، وجعلا ينيران بدروسهما عقول الكافة ، ويثقفان عقول النابهين من الخاصة ، حتى استرشدوا وأحسوا الحاجة الى العلم فهبوا لطلبه ، وكان آنئذ بدء النهضة العلمية في الطائفة الاسلامية في بيروت

ثم أراد العلامة الناهض الشيخ عبد الله خالد أن يتوسع في نشر العلم فاقترح على زملائه والنابهين من تلاميذ قرينه العلامة الشيخ محمد الحوت الكبير انتخاب طائفة من نجباء تلامذة الرشدية واختصاصهم بدروس توسع ما أدركوا من علوم الدين فتزيدهم معرفة بالعلوم العربية ليتسنى لهم أن يخدموا الامة بنشر العلم فيها عملا بقوله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) فارتاح الاساتذة الى هذا الاقتراح واقتسموا المنتخبين فكان (احمد) من نصيب الاستاذ الاديب الشاعر الشهير السيد عمر أنسي فلزم دروسه ووجد فيه السيد عمر نباهة وحرصا على التحصيل فزاده من عنايته حتى فاق رفاقه وصار يلقي كرم الدرس عند ما كان يغيب الاستاذ الذي شغلته تجارته بعد حين عن مواصلة التدريس في الاوقات المعينة

واتفق أن الامير محمد أرسلان صادف الشيخ عمر ومعه تلميذه الصغير (احمد) ماشيه فسأله عنه فعرفه اليه وأثنى عليه فجعل الامير يباحثه في بعض مسائل النحو وهو يحسن الجواب حتى [illegible] الامير [illegible] له جدير بمثلك أن يدخل الازهر [illegible] قليل يمم الازهر أحد رفقائه في طلب العلم وهو الشيخ خضر خالد فهاجت رغبته الكامنة واشتدشوقه إلى ورود ذلك المورد العلمي العظيم غير أن أباه الفقير كان كثيراً مايمنعه من الانقطاع الى الدرس في نفس بيروت للاستعانة به على الكسب فكيف إذا سأله السفر ومايستلزمه من النفقة ? فجعل يستنجد باستاذه ليبلغه مقصده والاستاذ الانسي يقول له : رويدك لايصير على الازهر الا كل ضامر مهزول ، فيجيبه (احمد) وهل أنا الا ذلك الضامر المهزول ? واتصل الخبر بالسري الاديب المفكر الناهض السيد حسين بيهم فاجرى عليه وظيفة شهرية من ريع لاسرتهم كان موقوفا على عمل الخير ثم انتدب الشيخ الانسي ورفيقه الشيخ عبد الرحمن الحوت فهونا الامر على والده وأقنعاه فأذن له وفرض على نفسه مبلغا إضافه الى مارتبه المرحوم السيد حسين بيهم وولى احمد وجهه شطر الجامع الازهر سنة ١٢٨٥ هـ فعكف على التحصيل مدة ست سنين فنال من فضل الله بجده مالم ينله غيره في مثلها من الزمن

والناس مشتبهون في إيرادهم وتفاضل الاقوام في الاصدار

فتلقى علوم العربية وآدابها من خواص مدرسيها لذلك العهد كالشيخ المرصفي والاشرافي والابياري والبابي الحلبي . وأخذ الشريعة على مذهبي الامام محمد بن ادريس الشافعي والامام أبي حنيفة عن أعلام علمائها (الاشموني والعز والرافعي ومنقاره) واضطلع بالعلوم العقلية والنفسية والتصوف بين يدي جهابذتها حكيم الشرق السيد جمال الدين الافغاني والشيخ احمد البابي الحلبي والشيخ محمد الولي الطرابلسي . وعند ما كان يأتي بيروت أثناء العطلة الازهرية لم يكن يقضي أيامه في الاستراحة بل كان يتزود في المنطق والادب من دروس العلامة الشيخ يوسف الاسير رحمه الله .

وبينما هو على وشك الفراغ من التحصيل أصابته في السنة الخامسة مصيبة كادت تعجله عن الاتمام إذ توفي أبوه فتقلص أسرته المعين وأعوزته النفقة فاضطر إلى ترك الازهر في بدء السنة السادسة فقفل راجعا وحل ضيفا على رجل المروءة والاحسان المرحوم سعد الدين بك حمادة ولما سأله عن أسباب عودته في غير ميعاد العطلة فنبأه بخبره [illegible] تغمده الله برحمته مبلغ الراتب الذي كان يرسله اليه أبوه عن السنة كلها وأمره بالعود وإتمام التحصيل فأحسن له الدعاء وعاد فأتم ونال إجازات التدريس سنة ١٢٩١ من أساتيذه في العلوم التي تعلمها (بعد التحصيل)

تلك المرحلة الاولى من حياة الاستاذ الرئيس وهي في كثير من ماجرياتها تشبه حياة أكثر العصاميين فأين مميزات ذاته ومقومات ماهيته التي ترتسم بها صورته الخاصة في أذهان المعاصرين ، ويحتفظها لوح التاريخ ؟

لا جرم أنه يسهل على الانسان تصور حقيقة ما كما هي كلما كانت أقرب الى السذاجة . فاذا تشعبت وعلت مرتبتها في الوجود عز ضبطها فتفاوتت صورها في الاذهان بتفاوت المدارك ووسائل التصور . من أجل ذلك ترى الناس يختلفون في وصف الرجل الواحد من العلماء والمفكرين المصلحين فكل يرسم له صورة حسبما وصل اليه من خبره ، وقلما يصيب الحق فيه واصف لما يعترضه من وعورة

الرواية واختلاف اهواء الراوين ، وفي هذه الحال لايبقى إلى معرفة الحقيقة غير سبيل واحدة وهي النظر في العمل لأن الاعمال هي وحدها مرآة الرجال الصافية التي تحتفظ من حقائقهم أمثل صورة وأصدق مثال ، فلم نستقرىء شيئاً من أعمال شيخنا التي تتجلى فيها صورته المعنوية الخالدة .

ترى المعاهد العلمية الكبرى أثراً خاصاً تطبعه في نفوس روادها بقصد أو بغير قصد حتى ليدرك البصير في نقد الرجال أثناء المعاملة أو المذاكرة والمباحثة . غير أن الازهر وإن اتحد أثره في الازهريين من حيث التحقيق في البحث والاستقصاء في التقرير إلا أن له آثاراً مختلفة من حيث العمل بالعلم والاستفادة منه . فترى في الازهريين المجتهد العامل الذي استعد عقله للجري على نظام التجدد وقبول الحقائق التي يقررها العلم الحديث وتأهلت نفسه لسلوك سبل الحياة سهلها وحزنها . كما ترى فيهم الجامد والخامل الذي لا فرق بينه وبين صحيفة أوْرقها المطبعة أو يد الخطاط فلا تعود تقبل الزيادة [illegible] النقص [illegible] من عوارض الطبيعة ، ثم هي تستقر حيث تلقى لا لغيرها [illegible] الاستاذ الرئيس ؟ كأني بكم تقولون من [illegible] الفريق الأول ولا ريب .

عاد من الازهر الى بيروت سنة ١٢٩١ هجرية . وكان العلامة العامل الكبير المعلم بطرس البستاني قد أنشأ مدرسته الوطنية وازدحم فيها الطلبة من كل ملة . فدعى الازهري الجديد الى التدريس فيها واختصاص التلامذة المسلمين بدروس ديني . فلبى الدعوة وقام بالعمل الى آخر سنة ١٢٩٤ حيث صرفت المدرسة تلامذتها وأقفلت بسبب انتشار الهواء الاصفر . وهكذا أصبح الازهري بلا عمل فماذا فعل ؟ لم يكن ثوبه العلمي لمجنبه من كسب الرزق الحلال من موارده المشروعة فاتخذ له دكانا وجهزها بما استطاع من البقول والأثمار وقعد يبيع ويشتري كعامة الناس ، ومر به الوجيه الورع المرحوم الحاج محيي الدين بيهم فعز عليه أن يرى الشيخ الفتى يحترف الحرفة المبتذلة فدنا منه وقال له أرى أن هذا غير لائق بك . فأجابه أرى أن هذا أليق من التسول للقيام بأود الاهل وبعد قليل من الزمن اي في سنة ١٢٩٥ دعاه الامير مصطفى أرسلان الى التدريس

في المدرسة الداودية في (عبيه) فلبى دعوته وظل يعمل هناك بجد وإخلاص مدة ثلاث سنين آخرها سنة ١٢٩٨ . وكان من تلاميذه ثمة المحامي المشترع المرحوم عباس حمية والأفاضل محمود بك تقي الدين مدير المعارف السابق وسامي بك العماد وثامر بك العماد وفرحات بك حماده وغيرهم . ثم ترك الداودية ليتولى إدارة مدرسة المقاصد الخيرية التي تأسست في بيروت سنة ١٢٩٩ بعناية أبي الأحرار المرحوم مدحت باشا وصديقه الكبير رائف باشا متصرف بيروت . ثم انتخب لتدريس العلوم العربية والدينية في المدرسة الرشدية العسكرية سنة ١٣٠٠ .

ولما افتتحت جمعية المقاصد الخيرية مدرستها السلطانية عام ١٣٠٢ دعته إلى التدريس فيها وتولي نظارة السلوك كما دعت الأستاذ علامة سورية المرحوم الشيخ حسين الجسر إلى تولي إدارتها فقام بالوظيفة خير قيام مع محافظته على التدريس في الرشدية العسكرية حتى كاد لا يكون له ساعة فراغة

في المدرسة السلطانية عرفنا في الأستاذ الرئيس الناظر البعيد النظر، والرقيب الشديد الحذر، والمربي الحكيم [illegible] كذا ما استفادت على الطريقة بث فيها روح التعلم [illegible] إلى أجل المقاصد من مقاصد العلم وأمثل غاية من غايات العمل — في المدرسة السلطانية كان أول من (شنف) آذاننا وشغل أذهاننا بهذه الكلمات الذهبية . حب الوطن ، الغيرة على الأمة ، والاستعداد للمستقبل ، الجد ، النهوض ، الاعتماد على النفس ، إلى أمثالها من الفرائد الكريمة التي كان ينسج منها خطبه ومواعظه ، ويشغل بذارها أفئدة النشء الذي كان يربيه ويعده لخدمة ملته وبلاده

لم تطل إقامته في المدرسة السلطانية لما اعتور إدارتها من تأثير السياسات الخائنة فاستقال من خدمتها سنة ١٣٠٤ ولما كانت همته وعصاميته تأبى الارتزاق من موارد الكسل انصرف إلى تجارة الكتب لكيلا يفارق العلم فأبرم عمل منافساً باستاذه البابي الحلبي صاحب المطبعة والمكتبة المشهورة وأسس في تلك السنة مكتبته العباسية ومع ما في ظاهر هذا العمل من النفع الخاص فقد خدم به العلم إذ حبب المطالعة إلى كثير من الناس وزاد في رغبة الراغبين فيها بما كان ينتقي لهم

من التآليف الحسنة في كل فرع من الفروع على أن تجارته هذه لم تكن لتشغله عن غرضه الاسمى من إصلاح النفوس بالوعظ والارشاد والتربية والتعليم لذلك ماكان ينفك عن إلقاء الدروس في المسجد الجامع العمري تلك الدروس التي كان يرمي فيها الى تهذيب الاخلاق التي انما يكون المسلم بها مسلماً بل الانسان انساناً ، وتفقيه الكافة في الدين ، وتنوير عقولها بمواعظ التاريخ الاسلامي ، ومناقب الرسول ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم . ومثل هذه الغاية من الاصلاح كان سلك عقب عوده من الازهر الطريقة الشاذلية ، وعمل جهده على ضبط أفكار مريديه من العامة بضابط الشرع ، وشحذ قرائح المتعلمين منهم بآداب التصوف ، وقاية لأولئك من الشذوذ الذي قلما يسلم منه السالك الجاهل ، وصوناً لهؤلاء من الجمود الذي يستولي على الطالب الواقف عند ظواهر الفقه دون النفوذ إلى أسراره المتعلقة بكمالات الروح وتهذيب النفس ، على نحو ما أشارت اليه هذه الكلمة الحكيمة : الطريقة بلا شريعة باطلة ، والشريعة بلا طريقة عاطلة[1]

ثمان سنين مضت على الاستاذ في المكتبة دون أن تفارقه الفكر في خدمة الامة من أقرب الطرق وأنجع الوسائل خطوطه وقد رأى (بعد) مامرى المدرسة السلطانية من القلب والابدال في المبدإ والمقصد أن الخطب يتعاظم والخطر يشتد

تنبه المسلمون لما لم بصحبة القطتين الجليلين الموت وخالد ، ثم اندفعوا إلى تحصيله من الطريق الوطني الاسلامي الذي اختطته لهم جمعية المقاصد الخيرية أسوة ببقية الطوائف المواطنة ليجاروها في حلبة المدنية . بيد أن الحكومة السابقة التي كانت تحصهم من مراحمها بالقسط الاوفر أخذت عليهم هذه الطريق وصدتهم في بدئه عن بلوغ غايته ، إذ حولت المدرسة السلطانية إلى معمل موظفين . فارتدوا حيارى وسبل العلم متفرقة ومناهله مختلفة لايدرون أي سبيل يسلكون ، ولاأي منهل يردون ، وألحت بهم الحاجة إلى مدرسة يعتاضون بها عن المدرسة الوطنية

«١» المنار : اذا اريد بالطريقة هذه النظم المعروفة المنسوبة الى المتصوفة كما هو الظاهر فهو مراد باطل، واذا اريد بها ما هو أعم وهو الاهتداء بالشريعة عملا وحالا فالمراد صحيح

التي فقدوها ، فمن لهذا الامر العظيم غير الكفء الندب العظيم؟

دفعت الغيرة والحمية أستاذنا لسد هذه الثلمة فترك تجارة الكتب سنة ١٣١٢ استعداداً لانشاء المدرسة المنشودة وكاشف بالامر صديقه المفضال صاحب السعادة السيد عبد القادر افندي قباني فوجد عنده من الشعور مثلما كان يجد هو في نفسه حتى ان سعادته ارتاح إلى مشاركته في رأس المال

وهكذا تيسر له سنة ١٣١٣ هجرية فتح المدرسة التي سماها بالعثمانية تعوذاً من شر . ودعاني إلى ما أحب من الخدمة فلبيت وسعدت بموازرته زهاء عشرين سنة ، ومنذ ذاك دخل الاستاذ الرئيس في طور من الجهاد الادبي لا يحتمل المقام وصف مصاعبه ومتاعبه . جرت المدرسة العثمانية على نظام عصري في الادارة والتدريس لم يعهد مثلها في المدارس التي ينفرد بتدبيرها شخص واحد حتى زهت في برهة يسيرة وانتشرت شهرتها في الآفاق ، وأمها الطلبة من أقاصي البلاد الاسلامية فضلا عن الاحياء البيروتية ثم اتسعت وارتقت وجمعت داخل محيطها أقسام التعليم الثلاثة الابتدائي والاستعدادي [illegible] الكمال . وبهذه صارت كلية وأخرجت للامة من الشبيبة [illegible] ما وجب عليه لامته من خدمة المدنية في فروع العلم التي حصلها في الكلية الاسلامية ، ثم اضطلع بها في جامعات بيروت وأوربا فكان منه الاديب الصحافي والطبيب والصيدلي والحقوقي والتاجر ، وبالجملة فان تلامذة الكلية الاسلامية إن لم يرفعوا أمتهم إلى ذروة المجد فقد قربوها من المنزلة التي تليق بها بين اخواتها في الوطنية من الامم الراقية .

هذا ومن الاماني الاصلاحية التي كانت تشغل قلب الاستاذ الرئيس التوفيق بين مقتضيات العلوم الحديثة ومقررات العلوم الدينية . كان يزعجه ما يرى من التباين في الرأي بين بعض تلامذة المدارس العصرية وبعض طلبة العلوم الدينية لجهل كل من الفئتين بعلم الفئة الاخرى وخاف على الجهود المبذولة في سبيل نهضة الامة أن يحيط بها هذا الخلاف أو يحبطها إلى عكس المقصود منها . فهم بتلافي الامر فوسع قدر ما أمكن دروس العلوم الدينية من فقه وتوحيد وأضاف اليها

دروساً في علم الاصول ، ثم حاول انشاء دائرة خاصة بمريدي الإختصاص في العلوم الدينية شرط أن لايقبل فيها إلا من اضطلع بالعلوم العصرية وأحرز (إجازة البكالوريا) .

ولما كانت واردات المدرسة لاتتسع الانفاق على هذه الدائرة رأى أن يستنجد المشيخة الاسلامية فسافر إلى الاستانة سنة ١٩١٣ وعرض عليها الفكر فأعجبت به ونقلته إلى رجل الدولة إذ ذاك (أنور باشا) فحبذه هو أيضاً ووعد بتخصيص ألف ومائتي ليرة تدفع مشاهرة معاونة لهذا المشروع (١) غير أنه لم يدفع منها سوى قسط واحد ووقعت الحرب العالمية فبدلت الخير شراً ، وانقلبت المعاونة إلى مضايقة وإحراج انتهى إلى اقفال المدرسة ونفي الاستاذ الرئيس إلى استانبول ووضعه هناك تحت المراقبة كما هو معلوم . على أن النكبة ومشاغلها المظلمة ماكانت تستغرق همه ، وما كانت عزيمته تقف عند حد من الخدمة . فقد كان لايدع فرصة تسنح إلا اقتنصها للقيام بعمل مفيد [illegible] لا أنسى دهشتي وقد دخل على المحرن (٢) يوماً من أوائل أيام الدستور العثماني [illegible] من الورق فقلت له يا أستاذ : ماذا [illegible] ثلاث الدعوات بطلب ثلاث رخص بانشاء جريدة ومجلة ومطبعة . إلى ذلك اليوم كنت أحسب نفسي أعرف الناس بمبلغه من علو الهمة والاقدام ، ولكن استصغرت نفسي واستضعفت ادراكي عند ماظهر لي أن همه لاتحد بحد ، ولن إقدامه لايقدر بمقدار .

(آثاره العلمية والادبية) إن ماتقدم بيانه من المهام التي شغلت قلب الاستاذ وجوارحه مذ برز لمعركة الحياة كانت تكفي لاشغاله عن سواها من الكتابة والتأليف غير أن احتماله اعباء التدريس حمله على وضع عدة كتب نافعة في علوم الصرف والبلاغة والمنطق وأحوال الفقه (٣) على أسلوب يقرب هذه العلوم من افهام التلامذة الذين يكلفهم منهاج التعليم العصري كثيراً غيرها من العلوم الرياضية والطبيعية واللغات وآدابها . وكان شرع في تصنيف كتاب في تاريخ آداب العربية

(١) المراد أن المبلغ المذكور إعانة سنوية ولكنها تدفع مشاهرة كل شهر مائة ليرة
(٢) محل تجارة صاحب الترجمة (٣) أي قسم العبادات من الفقه

وأملى منه عدة فصول على تلامذته ، فلما ظهر كتاب (الوسيط) الذي وضعه الاستاذان الفاضلان الشيخ أحمد الاسكندري والشيخ مصطفى عناني في مصر وجده وافياً بالغرض فاعتمده في تدريس هذا العلم وأبطل إتمام كتابه

أما مكانته من الشعر وفنون الادب فيكاد لا يجهلها أحد . فقد صور شهامة العرب ومكارمها وعواطف القلب البشري وأهواء النفس في رواياته البليغة : السموأل والسباق ، وذي قار ، وفتاة الغار ، التي تكرر تمثيلها وشهدها الالوف من الناس فراقهم حسن سبكها وما رصعت به من الشعر الجزل والامثال الحكيمة التي المسامع والقلوب (كذا)

(أثره الاكبر) على أن للاستاذ أثره الخالد وتأليفه الحي النامي الذي أبدعته عزيمته الماضية ، وتعاهدت تنميته وتنمية قواه العقلية والبدنية تعضدها مزاياه النفسية ، من حزم وثبات وإخلاص . ذلك الأثر الذي اتخذ له من عقول النابتة وقلوبها صحائف حسابه أودعها ما شاء أن يودعه من آيات الوطنية والمدنية من كل علم وفضيلة ثم هو لم يغفل بها نقل المؤلفين [illegible] بل رقيها في الآفاق تشم النور والعرفان [illegible] (عثيث المدرسة) (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

(المنار) يظن بعض الناس أن قصر مدة مجاورة الشيخ احمد عباس في الازهر يدل على أنه لم يكن من علماء الدين بكل ما في هذا اللقب من معنى ، ونقول ان اشتغال طالب العلم الذكي بتلقي العلوم الازهرية بضع سنين وتلقيه فيها عن علماء أذكياء كالشيخ المرصفي وغيره من شيوخ فقيدنا كاف لتحصيل القدر الكافي من هذه العلوم الذي يمكن صاحبه من الاخصاء بنفسه في كل ما يريده منها والتحقيق كل مبحث يريد الاحاطة به من مباحثها . ولو أنه مكث بضع عشرة سنة في دراسة تلك الحواشي والتقارير المطولة والغوص في مناقشاتها لغرق في بحر من الخيال تتقاذفه أمواج الاوهام والشكوك ولم يخطر في باله نهضة أمته بله ماخدمها به

وأما الذي أذكى مصباح استعداده للعمل والسعي للنهوض بالامة فهو حضوره بعض مجالس السيد جمال الدين الافغاني ثم قراءته لصحيفة العروة الوثقى التي كان يصدرها هذا الحكيم بقلم مريده وصديقه الاستاذ الامام رحمهم الله أجمعين

أنباء العالم الإسلامي

المسلمون في أميركا يطلبون أستاذا من الأزهر

وقفنا على الكتاب الآتي الذي أرسل الى شيخ الأزهر بوساطة وزارة الخارجية المصرية ولم نعلم ماذا كان من أمر الجواب عنه وهذا نصه :

٢٢٦ يونيون هول جميكا . ل . ا . مدينة نيويورك

صاحب الفضيلة المفتي الاكبر شيخ الجامع الازهر القاهرة ـ القطر المصري

أود أن أبين لفضيلتكم ـ معبرا بياني عن عواطف الكثرة من السكان ـ الحالة الدينية السيئة التي تحيط بمسلمي هذا القطر خصوصا المتزوجين منهم العائلين للأطفال ـ ليس لقومنا امامة دينية تهديهم، الرجال احرار في معتقداتهم ولهم ان يصدقوا مايشاءون ويتمسكوا بالشعائر الدينية لأنهم مسلمون صادقون، اما الاطفال فيشبون جاهلين بميراث اسلافهم ومبادئ الدين لا جامع ولا مدرسة تؤويهم أما الاساتذة القليلون الذين يفدون الى هذا القطر فان مكاسب التجارة تغريهم بمجرد وفودهم فيهجرون التعليم ويقبلون على الدخول في غمار المتاجرة . وحينئذ ينبذ عامتنا فكرة تلقي الهدى الروحي عنهم، وقد أصبحوا رجال أعمال مثلهم

ومن الممكن أن اثق وثوقا صحيحا انه إذا تحسنت أحوال الاسر التي يجري فيها الدم الاسلامي فان عدد المسلمين يزيد زيادة عظيمة ويكون ذلك يومئذ أجل المكافأة للجهود التي تبذل في هذا الصدد . ولقد حاول القوم كثيراً أن ينشئوا عدة مراكز للعمل ، ولكن لم تكلل تلك الجهود بالنجاح لعدم وجود قيادة ذات سلطة ، ولضعف الالمام بأحوال القطر المحلية .

هذا وهناك رغبة ظاهرة تقضي بتسيير الاعمال في حدود الدائرة الوطنية مع إهمال روح الاسلام العامة إهمالا كليا . فلذلك يمكن أن يجني المسلمون الاميركيون من جراء توحيد جهودهم أكبر الفوائد

ولكن من المفهوم يا صاحب الفضيلة - ان عريضتنا هذه ليس لها أية صبغة سوى الصبغة الدينية، وان قضيتنا ماهي إلا قضية قوم ذوي دين خاص يريدون لهم أستاذاً هادياً. والآن قد رغبنا في ايجاد وحدة دينية فانا نلتمس بهذا أن تكون حاجاتنا الماسة المستعجلة موضع التروي والفحص منكم وأن يبعث الينا أستاذ معلم يعرف أحوال هذا البلد ويبقى بيننا حتى تصبح هذه الجماعة قادرة على اخراج أساتذتها

١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٦ (امضاء) حسين أديب

نيويورك - الولايات المتحدة ا . ل . الداعي الاول

اسماء وعنوانات بعض العاملين معه

المطبوعات الحديثة

(مفتاح الخطابة والوعظ) كتاب في العقائد والعبادات والاخلاق والفضائل وآداب المعاملات الشرعية والحكم ومصالح الناس - صنفه صديقنا الاستاذ الشيخ محمد احمد العدوي أحد علماء الازهر المتقنين المحققين ومدرسي القسم العالي فيه ووعاظ المساجد الرسميين ليستعين به في وعظه وخطبه ويكون خير مادة لغيره من خطباء المساجد وغيرهم من الواعظين ، ومباحثه تدخل في بضعة عشر كتابا الاخلاص ، العلم ، العقائد ، الاخلاق ، الطهارة ، الصلاة ، الزكاة ، الصيام ، الحج المعاملات المدنية ، النكاح ، الجهاد ، القضاء ، والولايات المنكرات الظاهرة ، وختمها بالكلام في التوبة وماتنال به سعادة الدارين ولم يسمه كتابا

وفي كل كتاب من هذه الكتب فصول فيما تشتد حاجة جميع المسلمين إلى العلم به ومادتها كلها من الكتاب والسنة التي يحتج بها يبتديء كلا منها بالآيات معدودة معزوة إلى سورها، ويقفي عليها بالاحاديث النبوية مقترنة بأسماء مسنديها إلى النبي ﷺ معزوة الى مخرجيها من كتب حفاظ السنة وجامعيها لايزيد على ذلك الا تفسير بعض الالفاظ التي يحتاج الجمهور الى تفسيرها في حواشي الكتاب

عرض المؤلف كتابه هذا على وزارة الاوقاف لتقرر ارشاد خطباء المساجد التابعة لها ووعاظها على الاستعانة به على عملهم فندبت لجنة من كبار علماء الازهر

لفحصه ثم قررت (تحت رقم ١٢٨٢ سنة ١٣٤١) « ان هذا الكتاب صالح لان يكون مادة يستعين بها الوعاظ والمدرسون في إلقاء مواعظهم ودروسهم »

بعد هذا طبع الكتاب في مطبعة المنار طبعا متقنا على ورق جيد في سنة ١٣٤٤ فبلغت صفحاته ٢١٢ بقطع المنار وثمن النسخة منه عشرة قروش يضاف اليها أجرة البريد وهو يطلب من مكتبة المنار فننصح لكل مسلم قارئ أن يتحول نفسه بمواعظه وحكمه

(الاخلاق والواجبات)

« مباحث في القرآن والحديث ، الاخلاق والايمان ، الاخلاق والعبادات ، الدنيا والآخرة ، الخير والواجب ، الواجبات الشخصية ، الواجبات العائلية ، الواجبات الاجتماعية ، الواجبات المدنية ، ستون آية وحديثا »

صنف هذا الكتاب صديقنا الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي الطرابلسي الشهير . وعضو المجمع العلمي بدمشق ... اقترحه عليه ورسم خطته له الاستاذ ساطع بك الحصري مدير المعارف في العراق الآن كان مديراً للمعارف في سورية في فترة استقلالها القصيرة . قال المؤلف في فاتحته بعد بيان الحاجة الى مثله في هذا العصر التي كانت سبب الاقتراح ماهو أصح وصف له قال

« ورغب الى أن أضع كتابا مدرسيا في تهذيب أخلاق الناشئة الاسلامية يجمع بين حاجة المربي والمعلم فيستعينان به على ماهم بصدده من تربية الاحداث وتكوين أخلاقهم ، وفائدة المتعلم فيجد فيه كلمات جامعة ، وأقوالا في الحكم والآداب رائعة ، تكون عوناً له — اذا راعاها على تهذيب نفسه وتقوية ملكاته. وأن أقتصر فيه من — المنقول والمأثور — على اقتباس ماورد في الكتاب السماوي والحديث النبوي . اللهم الا ماجاء عرضا من أقوال الحكماء مما يلتحم معناه في معنى الآية والحديث. وان أفرغ ذلك كله في أسلوب سهل المأخذ قريب التناول وأعلق عليه من الشرح والتفسير — ماتستدعيه الحاجة وتطلبه ذهن المطالع » ثم ذكر أنه احتذى في تأليفه هذا المثال الذي رسمه ووضعه ساطع بك له وزاد عليه مقدمة في مباحث القرآن والحديث « توسع المطالع بيانا ، وتزيده رسوخا وإيمانا »

وكنا قد اطلعنا على طائفة من هذا الكتاب قبل طبعه وانتقدنا على صديقنا المؤلف عدم ذكر مخرجي الاحاديث التي جمعها فيه وعدم تحري الصحيح والحسن منها فأجاب عن ذلك في خاتمته بمثل ما كان كتبه الينا في كتاب خاص قال

« ولم نعن بتخريج هذه الاحاديث ولا بينا درجتها قوة وضعفا لان مواقف كتابنا خطابية مراعى فيها التأثير في نفوس المخاطبين وقد يوجد فيهم من إذا سمع أن الحديث ضعيف فترت همته عن العمل به ولم يكترث لموضوعه ، على أن كتابنا هذا لم نؤلفه في فن الحديث وانما أتفناه في الفضائل وهذه يتسامح فيها ويستشهد لها بأي حديث كان اللهم إلا الحديث الموضوع الذي خلا كتابنا هذا منه والحمد لله » اهـ

ونقول إن هذا الاطلاق غير مسلم فان الحديث الواهي الشديد الضعف أو النكارة لا يقول أحد بالعمل به ، بل اشترطوا للعمل بالضعيف الذي لا يصل الى هذا الحد شروطا بينها الحافظ ابن حجر وسبق للمنار نشرها

وجملة القول أن الكتاب [illegible] الناشئة الاسلامية الحديثة فانهم لا يجدون فيه شيئا مما [illegible] القدماء في الادب لاختلاف التربية والتعليم في المدارس النظامية والعادات الاجتماعية بين هذا العصر وما تقدمه وقد أشار إلى ذلك المؤلف بقوله

« وقد اجتهدنا أن نشرح هذه الاحاديث النبوية والآيات القرآنية شرحا يقرب فهمها ويسهل حكمها على أبناء هذا العصر ، ولم نخالف فيما قلناه أصلا تقرر بين علمائنا رضي الله عنهم ، نعم خالفناهم في بعض التراكيب الاصطلاحية ، وكثير من الأساليب الكتابية ، مما اختلف باختلاف الزمان ، وتطور العمران ، وتبدل القرائح والاذهان » واستشهد على الحاجة إلى هذا بعبارة من كتاب أدب الدنيا والدين للعلامة الماوردي في اختلاف الآداب باختلاف الزمان والعرف

وقد طبع الكتاب في سنة ١٣٤٤ في المطبعة السلفية طبعا حسنا وبلغت صفحاته ٢٢٧ صفحة وثمن النسخة منه ٢٥ قرشا

(البينات) مقالات في الدين والاجتماعات والادب والتاريخ للاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي جمعت في جزئين سبق لنا تقريظ الجزء الاول منها ، وقد طبع

الجزء الثاني في سنة ١٣٤٤ بالمطبعة السلفية أيضاً ، وهو مصدر بمقدمة لنا في ترجمة مؤلفه ومكانته في العلم والادب والاصلاح وهو جدير بان يطالعه قراء العربية ولاسيما ثابتة المدارس العصرية والمولعون بقراءة المجلات والصحف الدورية المتعارضة المتناقضة في أمثال هذه المباحث التي ولج المؤلف أبوابها على علم وبصيرة ، وقد بلغت صفحاته ٣٦٤ بقطع المنار وثمن النسخة منه ٢٥ قرشا

الحج في هذا العام

بلغ عدد حجاج هذا العام ٢٢٥ ألفا بالرغم من ألوف الملاحدة والمبتدعة والروافض الذين بثوا الدعاية لمنع الحج وكان منهم ألوف من الشيعة الايرانيين وغيرهم بالرغم من حكومتهم التي منعت الحج رسمياً ، وقد كان الأمن العام والخاص على أكمله كما ثبت بالتواتر – وقد بلغنا أن حجاج الشيعة كانوا في غاية الغبطة والهناء ، وقال من سبق لهم الحج منهم أن الشيعة لم يكونوا في عام من الأعوام أحراراً كهذا الموسم ففي سبيل الله ما سيلقون من ظلم حكومتهم وعقابهم على أداء ما فرضه الله عليهم ، فقد بلغنا أنها أمرت بنزع أملاكهم وعقارهم من أيديهم ، وسكت لها علماء الشيعة الاعلام على ذلك !!

وقد ظهر للعيان خطأ الحكومة المصرية فيما فعلت من تخويف المصريين من الحج وزعمها أنهم يستهدفون للخطر لعدم خروج المحمل وحرسه معهم ، وقام البرهان الحسي على ان ذلك الحرس لا حاجة اليه لان الامن في الحجاز أتم وأكمل منه في مصر بل هو هنا مختل مختل أعيا أمره الحكومة والشكوى عامة

هذا وانا ننتقد ما كتبه بعض الحجاج في الجرائد من ذم الحجاز بحرارته وطرز مبانيه القديمة وغلاء بعض الحاجات والاجور فيه فانهم يجهلون ان الحج تقشف ينافي الترفه والتنعم شرعا وان أهله فقراء ، وحكومته فقيرة وان المسلمين كانوا يقضون في سبيل الحج عدة أشهر وينفقون ألوفا كثيرة ويعدون ذلك أفضل ما أنفقوا طول عمرهم فمن لم يفقه هذا فهو لم يحج ولم يعرف الحج ، ومن لم يرض به فليحج مع الملاحدة الفاسقين الى متنزهات أوربة ومعاهد الخلاعة فيها ولا يدعي الاسلام